أرضيات المسجد الحرام

(٩٢٣ - ١٤٢٦هـ / ١٥١٧- ٢٠٠٥م)

دراسة تاريخية

د. فهد بن عتيق الشبان المالكي
أستاذ التاريخ الحديث المشارك
بجامعة أم القرى

ملخص البحث:

فهذا بحث يتناول بالدراسة والاستقصاء أرضيات المسجد الحرام خلال عصر الدولة العثمانية؛ وكذلك في العصر السعودي، ويحتوي البحث على مقدمة لتبيان أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهم الصعوبات والتسهيلات وكذلك يحتوي على تمهيد تم فيه استعراض التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في عصر النبوة وفي العصر المملوكي، ثم اشتمل البحث على مبحثين: الأول تناولت فيه التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني، والمبحث الثاني: كان مخصص لإبراز جهود القيادة السعودية في تطوير أرضيات المسجد الحرام وتوضيح القفزات الهائلة التي تمت فيها، ثم عقب ذلك خاتمة تم فيها توضيح أهم النتائج التي توصل لها الباحث.

Abstract:

This research deals with the study and survey the floors of the Grand Mosque during the era of the Ottoman Empire; as well as in the Saudi era, The research contains an introduction to show the importance of the subject and the reason for its selection, and the most important of the facilities and facilities as well as contains a preliminary review of the historical development of the floors of the Grand Mosque in the era of prophecy and the Mamluk era, The second study was devoted to highlighting the efforts of the Saudi leadership in developing the floors of the Holy Mosque and clarifying the huge jumps that took place in them. Then, the conclusion was made to clarify the main findings of the study. Her researcher.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فلقد أهتم المسلمون منذ صدر الإسلام ولا سيما ممن شرَّفه الله بالولاية عليها من حكومات متعاقبة من خدمة بيته العتيق، اهتماماً بالغاً بالمسجد الحرام، فتنوع ذلك الاهتمام في بذل الأموال بسخاء على تنفيذ مشاريعه وعمارته والعناية به.

ولقد استمرت تلك الحكومات التي حكمت مكة المكرمة عبر تاريخهم الطويل يهتمون بالمسجد الحرام ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل راحة قاصديه؛ لأدائهم مناسك عبادتهم بكل يسرٍ وسهولة، ومن بين مظاهر الاهتمام أرضيات المسجد الحرام، وتبليطها التي مرت بالعديد من المراحل منذ أن فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة حتى العصور الحديثة.

فلقد بذلت الحكومات التي تولت الإشراف على المسجد الحرام جل اهتمامها وعنايتها بالقدر الذي تيسر لها، إلى أن جاء عهد الدولة السعودية فكان من صميم رسالتهم الاهتمام ببيت الله الحرام، وبلغ الاهتمام في عهدهم بأرضيات المسجد الحرام مبلغاً كبيراً، فقاموا بتبليط أرضياته بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث ((أرضيات المسجد الحرام منذ دخول العثمانيين الحجاز عام ٩٢٣ / ١٥١٧م حتى نهاية عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)) وقد تم تسليط الأضواء من خلال مجريات البحث على التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام منذ عصر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – حتى عصر الدولة العثمانية ثم تبيان النقلة النوعية (كماً وكيفاً) في عصر المملكة العربية السعودية، ولذلك قسمت البحث إلى:

تمهيد ومبحثان، وجاء التمهيد تحت عنوان (أرضيات المسجد الحرام من عصر النبوة حتى نهاية العصر المملوكي)، وأما المبحث الأول فقد خُصص بدراسة التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني، وأما المبحث الثاني فقد تناولت فيه التطور التاريخ لأرضيات المسجد الحرام في العصر السعودي، وقد شهد هذا المبحث بسط الحديث عن النقلة النوعية والمتغيرات الجوهرية التي تم استخدامها في تبليط المسجد الحرام.

وأما بالنسبة للصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث فتكمن في أن المعلومات المتعلقة به عبارة عن شذرات متناثرة في بطون الكتب، وتتبعها تطلب بذل الجهد ومضاعفة العمل، وأما التسهيلات؛ فهي توفيق الله – عز وجل – والعناية الإلهية التي كانت مصدر إلهام أنارت الطريق أمامي للوقوف على أوعية المعلومات المتعددة.

كل هذه الأحداث التاريخية هي ما يسر الله – سبحانه وتعالى – لي جمعها وتحليلها ومعالجتها وطرحها بأسلوب علمي، الهدف من ورائه إبراز التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني، وتوثيق لجهود القيادة السعودية في العصر السعودي المبذولة في العناية والاهتمام بها ورعايتها خير رعاية.

هذا وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

تمهيـــد:

أرضيات المسجد الحرام من عصر النبوة حتى نهاية العصر المملوكي

كان المسجد الحرام قبل الإسلام منذ زمن سيدنا إبراهيم – عليه السلام – إلى زمن قصي بن كلاب[١]، فسحة واسعة حول الكعبة، لأن من نزل بمكة يسكنون الشعاب ويتركون ما حول الكعبة؛ احتراماً لها، فلم يكن بالحرم أي بيت قائم؛ لتحريم السكن بمكة؛ تعظيماً لحرمتها بعدم البناء فيها، فقبل (قصي) كانت القبائل من عمالقة وجرهم وقريش وغيرهم، يسكنون في شعاب مكة ويتركون حول الكعبة؛ احتراماً وتعظيماً لشأنها فلا يجترئ أن يبني أحدٌ بجوارها داراً أو جداراً، أو يحدث جديداً على أرضيَّاتها (التي كانت حول المطاف تراباً ورملاً من نفس تربة مكة المكرمة)[٢].

ونظراً لقلة سكان مكة المكرمة (في زمن النبوة) لم تكن هناك حاجة لوضع أرضيات للمسجد الحرام؛ لأن سعة مدار الطواف كانت كافية لصلاة المسلمين المقيمين بمكة، ولهذا لم يحدث في المسجد الحرام زيادة ولا توسعة ولا تغيّر في العصر النبوي، ولا خلافة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه –. [٣]

وفي عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –تم فرش المسجد الحرام بالحصباء،

---

(١) هو الجد الرابع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حصل على نفوذ واسع في مكة المكرمة، ويعتبر أشهر رئيس في قبيلة قريش في عصر ما قبل الإسلام حيث أنه انتصر لقريش على باقي قبائل كنانة وخزاعة حينما أخرجهم من مكة وجعل سكنى مكة خاصة لقريش. وكانت إليه السدانة والسقاية والرفادة والندوة ولواء الحرب. ابن قتيبة، عبدالله محمد بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٧٠، ابن سعد، محمد بن مشيع: الطبقات الكبرى، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٦٦.

(٢) الأرزقي: أخبار مكة ١٧٦/١، ٦٤٩/٢– ٦٥٦؛ الفاكهي أخبار مكة، ١٧١/٥ – ١٧٥، المقريزي: بناء الكعبة ص١٢٤؛ السنجاري: منائح الكرام ٣٦٨/١، ٣٩١؛ النهروالي: إعلام الأعلام، ص٤٣–٤٩؛ الغازي: إفادة الأنام، ٢٤٢/١، ٢٤٣؛ مجهول: أحوال الحرمين الشريفين، ص٤٠؛ الكردي: التاريخ القويم.

(٣) عبدالستار محمد فيض، الزيادات في المسجد الحرام، ص٧٢.

(وهو عبارة عن حجارة صغيرة من وادي العقيق)، وقد استمرت أرضيات المسجد الحرام على حالها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين(٤).

أما في العصر الأموي فإن الإضافة على أرضيات المسجد الحرام تكمن في ما فعله عبدالله بن الزبير – رضي الله عنه –(٥)، حيث فرش المطاف حول الكعبة نحو عشرة أذرع، وبذلك أصبح أول من فرش دائرة المطاف بالحجارة المنحوتة المصقولة(٦).

أما في العصر العباسي فقد استمرت دائرة المطاف مفروشة بالحجارة المنحوتة حول الكعبة المشرفة دون تحديد لمدارها أو محيطها حتى تولى الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢ – ٨٤٧م) (٧) فأمر بعشرة أعمدة من شبه(٨)، طوال تدار حول محل الطواف وأمر بثمان ثريات كبار وضعت عليها؛ ليستصبح بها الطائفون، وكانت مقسمة

(٤) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ط١، جدة، بن لادن، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٩١ – ١٩٢.

(٥) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، ذات النطاقين، ولد بالمدينة بعد ٢٠ شهر من الهجرة وتوفي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م.
للاستزادة عنه انظر: ابن سعد: أبو عبدالله محمد بن سعد، كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، جـ٨، ص١٨٢، ابن هشام: أبو محمد بن عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري العافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، السيرة النبوية، ١ – ٤ حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحميد شلبي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ١/ ص٤٨٦.

(٦) الأزرقي: أخبار مكة، ٣٠٤/١، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ٢٣٠/١، ٢٤٢؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ٧٤/٢، ٧٥، الأسدي: إخبار الكرام، ص١٦٤، ١٤٣؛ السنجاري: منائح الكرم، ٢٢/٢، ٢٣؛ الغازي: إفادة الأنام، ٣١٥/١؛ الكردي: التاريخ القويم، ٣/ ص١٧٠، ١٧١؛ ٢٦٣.

(٧) هو هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، وهو تاسع الخلفاء العباسيين يطلق عليه المأمون الخير لأدبه وفضله، عثمان أ؛مد علي، الخليفة العباسي الواثق بالله (رسالة ماجستير، جامعة القدس، بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٧.

(٨) الشبه: النحاس يصبغ فيصفر. ابن منظور: لسان العرب، ٥١٦/١٣.

على جهات الكعبة الأربعة في كل جهة اثنتان[٩].

وفي عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ – ٩٠٢م) [١٠]، اُسْتُكْمِلَ بلاط المطاف من جميع الجهات حول الكعبة المشرفة[١١].

وبذلك تنتهي أعمال الخلفاء العباسيين وتعميرهم لمحل المطاف (الدايِر حول الكعبة المشرفة)، حيث بقيت أرضيات المسجد الحرام تلتف حول دائرة المطاف وبقي فرشها بالحصباء واستمر تحصيب أرضيات المسجد الحرام، وكان يحصب في كل سنة بـ ٤٠٠ دينار[١٢].

وفي عهد المماليك وتحديداً عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١٣]، بتعمير المسجد الحرام وإصلاحه، فكانت من ضمن تلك الأعمال استحداث أرضيات دائرية حول المطاف، وقد صنع بعضها بالحجارة المنحوتة الدقيقة، والباقي من الآجر مجصص، وجعل بيد كل من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها وعلى المقامة لها؛ لأجل القناديل التي تعلق للاستضاءة حول الكعبة عوضاً عن الأخشاب التي كانت في هذا المكان على صفة الأساطين[١٤].

وفي سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ – ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٦م) [١٥] بتبليط كامل المطاف بالحجارة المنحوتة[١٦]، وفي عهد

---

(٩) الأزرقي: أخبار مكة، جـ١، ص٤٠١؛ السنجاري: منائح الكرم، جـ٢، ص١٥٨.

(١٠) هو أول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبل.، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، وكان شجاعاً مهيباً. عبدالكريم عبده حتامله، خلافة المعتضد بالله، (رسالة ماجستير) جامعة القدس، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص١٣.

(١١) ابن فهد: إتحاف الورى، ٢/ ص ص٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢؛ القبطي: إعلام العلماء الأعلام، ص ص٨٦، ٨٧.

(١٢) الفاكهي: أخبار مكة، ٢/ ص ص١٣١، ١٣٢؛ ابن فهد: إتحاف القرى، ٢/ ص٣٣٨.

(١٣) هو أحد أشهر سلاطين المماليك استمر حكمه على ما يزيد عن قرن من الزمان، محمد فوزي عبيدات، السلطان قلاون المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٤.

(١٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ٣/ ص٢٠٧.

(١٥) هو الملك الأشرف زين الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون تولى حكم مصر عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، للمزيد انظر: عدنان شطناوي، دولة المماليك في مصر والشام في عهد

السلطان الأشرف برسباي (٨٣٠هـ/١٤٢٦م) [١٧] تجددت أرضيات المسجد الحرام، حيث جعل الحصى فيه وبطحه، فحرث بالبقر جميع المسجد الحرام وكُوم التراب جميعه كيماناً، ثم رُفِعَت بالحمير إلى أسفل مكة، وأزيل من الحرم، وبُطح الحرم ببطحاء مغربلة من ذي طوى بأسفل مكة المكرمة[١٨].

وفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م تم إعادة تكحيل أرضيات المسجد الحرام بأمر السلطان الأشرف برسباي بعد أن ظهر عدة شقوق فيها من جراء السيول وأصلح معه بعض رخامات بشاذروان الكعبة تحت الحجر الأسود[١٩]، وأثناء فترة سلطنة الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨–١٤٥٣م) [٢٠] أمر عام ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م بإصلاح ما تُلِفَ من المسجد الحرام، فصب الرصاص المذاب في الحفر (التي بأرض المطاف (٨٧٣ – ٩٠١هـ/ ١٤١٢هـ – ١٤٩٦م))[٢١].

وفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٧م أمر السلطان قايتباي[٢٢]، بإصلاح ما انكسر من أخشاب

السلطان الأشرف شبان بن حسين (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠١م)، ص٦٥.

(١٦) ابن فهد: إتحاف الورى، ٣/٤٥٢، ٤٥٣، السنجاري: منائح الكرم، ٢/ ص٤٠٧.

(١٧) هو الأشرف سيف الدين برسباي، يعد السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك، للمزيد انظر: ناجي محمد الأيوبي، السلطان المملوكي الأشرف سيف الدين برسباي سيرته وأعماله (رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠١٧م)، ص٨.

(١٨) ابن فهد: إتحاف الورى، ٣/ ص٦٣٧.

(١٩) نفسه، ٤/ ص٤٦.

(٢٠) هو أحد سلاطين المماليك، تولى حكم مصر عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م ويعد السلطان الرابع والثلاثون في ترتيب سلاطين المماليك. للمزيد انظر: فيصل حبطوش، أعلام الشراكسة (ط١، الأردن، عمان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣٣.

(٢١) ابن فهد: إتحاف الورى، ٤/ ص١٩٧.

(٢٢) هو الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري، يعد الملك الثامن من ملوك الجراكسة، السادس عشر من سلاطين المماليك البحرية والجراكسة، للمزيد انظر: إسماعيل أحمد، مدرسة السلطان قايتباي في المسجد الحرام (العدد ٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٨٢.

أروقة المسجد الحرام، وعمل الترميمات اللازمة لأرضيات المسجد الحرام والكعبة المشرفة، فتم إصلاح ذلك ثم قام بمباشرة الأعمال بتغيير رخام حجر إسماعيل – عليه السلام – داخلياً وخارجياً وصب الرصاص بأرض المطاف حول الكعبة[٢٣]، كما قام ببطح المسجد الحرام وفرشه بالحصباء[٢٤].

وفي سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م أمر السلطان الغوري[٢٥] (٩٠٦ – ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ – ١٥١٦م) بترميم أرضيات المسجد الحرام برصاص أذيب في المسجد وصب في أماكن من المطاف.

والجدير بالذكر أن عهد المماليك شهد عناية كبيرة بأرضيات المسجد الحرام، وخاصة في الأوقات التي تأثر بها من العوامل الطبيعية كهطول الأمطار وجريان السيول داخل جنبات المسجد الحرام مما أثر على أرضيات المسجد الحرام هذا من جهة، ومن جهة أخرى تزاحم الناس عند الكعبة المشرفة، كل هذه عوامل جعلت من سلاطين المماليك في متابعة مستمرة لإصلاح الأرضيات – على حسب الإمكانيات المتاحة لهم.

المبحث الأول

أرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني

استمر سلاطين الدولة العثمانية على نهج أسلافهم السلاطين المماليك في الاهتمام بشئون المسجد الحرام؛ لمكانته العظيمة، فعندما آل إليهم أمر الحجاز بعد إزاحة الدولة المملوكية من مصر والشام، اتبعوا ما كان يقوم به السلاطين المماليك من أعمال إصلاح

(٢٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ٤/ ص٦٠١.
(٢٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ٤/ ص ص٦١٢ – ٦٢٠.
(٢٥) هو السلطان قانصوه الغوري أحد السلاطين بمصر من سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م حتى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، كان في الأصل من مماليك السلطان الأشرف قايتباي، ابن إياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/ ١٨٩٢م، ص٤٨.

وتجديد لبيت الله العتيق ، ومن تلك الأعمال: العناية بأرضيات المسجد الحرام [٢٦].

فقد كانت باكورة تلك الأعمال ما قام به السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ – ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ – ١٥٦٦م) [٢٧] (منذ توليه الحكم) بأنه أرسل إلى مكة المكرمة مرسوماً يأمر فيه بفرش أرضيات المسجد الحرام بحصباء نقية[٢٨]، وفي سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م أصدر أوامره بتبليط المطاف كاملاً، فتم تغييره ببلاط جديد على دائرة المطاف جميعه على يد أحمد جلبي المقاطعجي[٢٩].

وفي سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م شرع السلطان سليمان في تسوية المطاف لما بدى من أحجاره، إذ كانت قد انفصلت عن بعضها حتى صار بين كل حجرين حفرة، وكانت تلك الحفرة تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد فأزيل ما بين تلك الأحجار

---

(٢٦) فوزية حسين مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي حتى العثماني (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية ، ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ) ص١٦٣.

(٢٧) سليمان خان الأول بن سليم خان الأول (بالتركية العثمانية: سليمان بن سليم؛ بالتركية: Suleyman، كان عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الثمانين، وثاني من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان. بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت. وصاحب أطول فترة حكم من ٦ نوفمبر ١٥٢٠م حتى وفاته في ٧ سبتمبر سنة ١٥٦٦م خلفاً لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني. عُرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني (في التركية Kanuni) لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أصبح سليمان حاكمًا بارزًا في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الدولة الإسلامية العسكرية والسياسية والاقتصادية. قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودوس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا. ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا حتى الجزائر. تحت حكمه، سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر حتى الخليج. المصدر: نور الدين حواش: سليمان القانوني (مجلة حراء، تركيا، س ٧، ٣٠٤، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٢م)، ص٦٢.

(٢٨) جارالله محمد بن عبدالعزيز : نيل المنى بذيل بلوغ القرى١/ ص٢٤٩.

(٢٩) هو أحمد جلبي المقاطعجي: دفتر مصر محمد بن سليمان، وصل إلى مكة متولياً منصب ناظر الحرم الشريف في افتتاح سنة ٩٥٨هـ، كان من فضلاء كتبه مصر، وله شعر بالتركية. النهروالي: الأعلام ٥٥، القطبي: أعلام العلماء، ص٥٥.

ونحت أطراف الحجر إلى أن ألصقت بطرف الحجر الأحمر من جوانبه الأربع وقد استمر فرش المطاف على هذا النمط إلى أن تم ذلك وفرشوا المسجد الحرام جميعه بالجص(٣٠)، وأرَّخ العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمزمي الشافعي في فرش المطاف ونظم الشعر(٣١)بقوله:

انْظُـرْ إلَـى أَحْجَـارِ المطَـافِ ... لَـمْ يَبْـقَ فِـي أَرْجَـائِهِنَّ اخْـتِلاف
وادعُ لِمَـنْ صَـيَّرَهَا أَمْـرَه ... عَلَـى اسْـتِوَاءٍ ظَـاهِرٍ وائْـتِلاف
وَهُـوَ مَلِيـكُ الْعَـصْرِ بحـرُ النَّـدَى ... مَـرْدِي الْعَـدَى قَـامِعُ أَهْـلِ الخِـلَاف
أَعْنَـى سُـلَيْمَانَ بِـنْ عُثْمَـانَ مِـنْ ... كُـلُّ مُلُـوكِ الأَرْضِ مِنْـهُ تَخَـاف
عُمَـرُ مِـنْ أَرْضِ الَمَطَـافِ الَّـذِي ... كَـانَ خَرَابـاً وَتلافَـى الَـتَّلَاف
لَـوْ قِيـلَ مَـاذَا جَـاءَ تَارِيخُـهُ ... لَقِيـلَ عَمَـرَتْ جَمِيـعُ الَمطَـاف
دَامَ مَلِيكـاً عَـادِلاً قَـاهِراً ... جَمِيـعُ أَهْـلِ الظُّلْـمِ الَاعْتِـسَاف(٣٢)(٣٣)

وتم استكمال أعمال أرضيات المسجد الحرام في عهد السلطان سليم الثاني خان بن

(٣٠) من الخامات المتوفرة بكثرة في الأرض وهو أكثر معدن كبريتي منتشر في الطبيعة بأحد شكليه المعدني أو صخر رسوبي وهو يتداخل مع معدن الأنهدريت (كبريتات الكالسيوم اللامائية) ويتواجد مع الدولوميت والطين والحجر الجيري وهو ذو لون رمادي أوأبيض ويميل إلى الإحمرار في بعض الأحيان وقد يكون وجوده على سطح الأرض أو على أعماق قد تصل إلى /٣٥٠/م ، يوسف الدواف : إنشاء المباني (ط٦، القاهرة ، بدون نشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص٦٥.

(٣١) هو الشيخ عبد العزيز الزمزمي (٩٠٠ – ٩٧٦هـ): هو عبد العزيز الرئيس الزمزمي عز الدين بن علي بن عبد العزيز البيضاويُّ الشِّيْرازيُّ الأصلِ، ثُمَّ المكيُّ الزمزميُّ الشافعي، نشأ بمكة، وتلقى العلم عن علمائها، وبرع في الفنون العلمية كالتفسير واللغة والأدب، وله منظومة التفسير، وشرح مقامات الحريري ، نجم الدين العزي ، الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة (ط١، بيروت ، دار المكتبة العلمية ، ١٣٩٧هـ /١٩٩٧م ، ١/ ص٢٦٩.

(٣٢) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص ص٣٤٠، ٣٤١، النهروالي: الأعلام، ص٥٨، المحب الطبري: إتحاف فضلاء الزمان، أحداث سنة ٩٥٩هـ.

(٣٣) وصف الشاعر من خلال الأبيات ما تم عمله من تبليط لأرضيات المسجد الحرام في عصر السلطان العثماني سليمان القانوني.

السلطان سليمان الأول القانوني (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م) [٣٤]، فقد أمر بتعمير حاشية المطاف التي تدور خارج أساطين المطاف، بحيث تلتف حول دائرة المطاف، ففرشها بالحجر الصوان المنحوت بعد أن كانت مفروشة بالحصباء، ويدور بها دور حجارة مبنية منحوتة حول الحاشية كالافريز لها، ففرشت في أيام الموسم، وصار محلاً لطيفاً دائراً بالمطاف من بعد أساطين المطاف، وصار ما بعد ذلك مفروشاً بالحصباء كسائر المسجد[٣٥].

وبعد وفاة السلطان سليم الثاني تولى السلطان مراد الثالث (٩٨٢ – ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ – ١٥٩٥م) [٣٦] فتم في عهده فرش المسجد بالحصباء الجديدة بعد أن جاء سيل ليلة الأربعاء ١٠ جمادى الأولى سنة ٩٨٣هـ/١٦ أغسطس١٥٧٥م، ودخل من أبواب المسجد الحرام حتى امتلأ المطاف الشريف وارتفع حتى غطى الحجر الأسود وجدار حجر إسماعيل –عليه السلام –، وبعد خروج الماء حضر ناظر الحرم، ومعه الخدم، وقاموا بتنظيف المطاف الشريف وأخرجت جميع الأوساخ وفرش أرضيات المسجد بالحصباء الجديدة[٣٧].

واستمر في العمل في أرضيات المسجد الحرام التي بدأها أبوه السلطان سليم خان، فقد أصدر المرسوم السلطاني سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م بأن يستمر في فرش أرضيات المسجد

(٣٤) هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية ، وأوّل من حمل لقب" أمير المؤمنين "من آل عثمان. حكم الدولة العثمانية من سنة١٥١٢ حتى سنة ١٥٢٠ .يُلقب" بالقاطع "أو" الشجاع " عند الأتراك نظرًا لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة ، رزيقة قرشي: السياسية الخارجية للدولة العثمانية خلال عهد سليم الأول (رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي، الجزائر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٦م) ص ٢٧.

(٣٥) السنجاري: منائح الكرام ٣/٤٧١: ٤٧٧؛ القطبي: إعلام العلماء الأعلام، ص١٤٤.

(٣٦) هو أحد خلفاء الدولة العثمانية. ولد عام ٩٥٣ هـ وتولى الخلافة عام ٩٨٢ هـ بعد وفاة أبيه، وبعد أن تولى السلطة أمر بمنع شرب الخمر، ولكن ثورة الإنكشارية أجبرته على ترك هذا القرار، ميز عهد السلطان سليم الأول عما سبقه من العهود بأن الفتوحات تحولّت في أيامه من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي. نبذة في ذكر ملوك آل عثمان. مخطوط مجهول المؤلف موجود بمكتبة الأسد الوطنية. دمشق. رقم ٨٤٣٤. ص:٥١.

(٣٧) القطبي: ص١١، النهروالي: الأعلام، ص٣/٤.

الحرام حتى أتم في عهده تبليط المسجد الحرام في أواخر سنة ٩٨٤هـ /١٥٧٦م وصار المسجد نزهة الناظر وجلاء الخاطر، فكانت عدد الأسطوانات (الأعمدة) التي طوقت أرضيات صحن المطاف ، وأحاطته بعد تلك التجديدات ١٣٢ أسطوانة جميعها من النحاس الأصفر ينظمهم طوق من جديد يعلق من كل أسطوانتين ٧ قناديل، فكان عرض المطاف من جدر الحجر مما يقابل الميزاب إلى جهة مقام الحنفي ٢٢ ذراعاً وعرض المطاف من جهة المتجار إلى آخره ٣٠ ذراعاً، وعرض المطاف أيضاً من جهة الركن اليماني إلى المطاف ٢٨ ذراعاً ودائرة الطواف مرتفعة عن الأرض نحو ثلث ذراع، وفيها من الأسطوانات النحاس ٢١ أسطوانة و٢ من الرخام الأبيض وتحت كل أسطوانة حجر مربع هو قاعدة الأسطوانة ومن كل أسطوانتين وترص خشب مصفح بالرصاص وفيه ٧ قناديل وبعد الأسطوانات حاشية الطواف، وكانت تفرش بالحصا كسائر المسجد(٣٨).

وفي عهد السلطان محمد الثالث خان بن مراد خان (١٠٠٣ – ١٠١٢هـ/ ١٥٩٥ – ١٦٠٣م)(٣٩)، بدأ أعماله بالمسجد الحرام بتبليط جميع أرض المطاف بالرخام المرمر(٤٠) سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م، وبعد أن تم ذلك الفرش المرمري استحدث أربعة مماشي؛ لكي تصل بين صحن المطاف المبلط بالمرمر، وأروقة المسجد الحرام فكانت إحداهم واصلة إلى باب السلام والثانية إلى باب الصفا، والثالثة إلى باب العمرة، والرابعة إلى باب الحزورة، والجناحان اللذان بجانبي مقام الحنفي، والفرش الذي خلفه والذي تجاه المنبر، وذلك لأنهم كانوا كلما أزالوا شيئاً من المطاف جعلوه في هذه الأماكن(٤١).

(٣٨) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص ص٤٧١: ٤٧٧.

(٣٩) هو الخليفة العثماني الثالث عشر من سلاطين الدولة العثمانية كان شاعراً، وهو ابن جارية بندقية الأصل، اشتراها السلطان مراد واصطفاها لنفسه. محمد بوكيوط، السلطان الثالث (مجلة أمل، المغرب، العدد ٣١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٩٤.

(٤٠) هو نوع من المعادن البيضاء، يتميز بصلابته وشدة بياضه وجوده طبيعياً. أنطونيو دي يونيس، صناعة المرمر، (مجلة المشرق، إيطاليا، العدد ٣، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص٥٣.

(٤١) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص ص٥٠٠ ، ٥٠١، ٥٢٠، ٥٢١؛ الشلي: عقد الجواهر والدرر، ٣٢٨/١، العصامي: سمط النجوم العوالي، ٤/ ص١٠٢.

وأرَّخ الإمام عبدالقادر الطبري[٤٢] مبدأ الشروع بقوله:

سَـــــــأَلْتَ أَهْـــــــلَ بَيْتِـــــــهِ بِالْبَيْـــــــتِ حِـــــــينَ طَـــــــافُوا
تَارِيخُـــــــــــهُ فَقَـــــــــــالُوا قَـــــــدْ رَخِـــــــم الْمَطَـــــــاف[٤٣]

وأرَّخ أسعد أفندي مفتي الديار الرومية[٤٤]، ذلك بقوله من مثمن الكامل: (وهو متروك عند العروضيين).

زَانَ الْمَطَـــــــــــافُ بِمَرْمَـــــــــــرِ مَلِـــــــكَ الْأَنَـــــــامِ مُحمَّـــــــد[٤٥]

وفي ١٣ شوال ١٠١٠هـ/ ٥ أبريل ١٦٠١م أمر السلطان محمد خان بترميم أرض المطاف وترخيم مقام الحنفي ومحرابه وتجديد الشاذروان الملاصق بجدار الكعبة[٤٦].

وفي عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ – ١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣ – ١٦٤٠م) [٤٧] وقبل إعادة بناء الكعبة المشرفة سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م على أثر سقوطها من جراء سيل سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م جرى تنظيف المسجد الحرام من الطين الذي غشيه وملأه، وتم غربلته

(٤٢) هو عبدالقادر محمد بن يحيى بن مكرم الطبري الشافعي، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، ولد بمكة المكرمة، وطلب العلم وهو صغير، فحفظ القرآن الكريم، وصلى التراويح إماماً بالمسجد الحرام، محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (ط٣، المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) ج٣، ص٨٧.

(٤٣) السنجاري: منائح الكرم، ٥٠١/٣١.

(٤٤) هو أسعد أفندي بن علي عثمان، ولد في بلاد البلقان ثم انتقل إلى استانبول وأصبح مدرس ثم قاضي، مؤلف مجهول، دفتركشيخانه أسعد أفندي (ط١، تركيا، مطبعة محمود بك، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٦م)، ص١٧.

(٤٥) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص٥٢١ .

(٤٦) نفسه، ٣/ ص ٥٢٢.

(٤٧) هو السلطان العثماني السابع عشر، حكمت بغداد في عهده، وكان يجيد اللغة العربية، والفارسية. صالح محمد العابد، جملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العدد ٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٧٥.

وإخراج بعض حصى المسجد منه ثم أعاد فرش أرضيات المسجد الحرام، وأثناء بناء الكعبة المشرفة في سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م بعد عيد الفطر مباشرة اكتشف شريف مكة وناظر الحرم أن بعض رخام الطواف قد تكسر؛ بما سقط عليه من أحجار الكعبة حال سقوطها من السيل، وفي يوم السبت ٨ شوال من سنة ١٠٤٠هـ/ ٩ مايو ١٦٣٠م شرعوا في ترميم المنكسر من رخام الطواف، بإخراج القطع المكسورة وإبدالها بالسليم ثمَّ شرع المنقلون(٤٨)، في تكحيل صفة المطاف وممشى باب السلام، وباب الزيادة، ، ثم جاء بالحمير قرب المسجد الحرام وعلى ظهورها الحصى الذي يفرش به أرضيات المسجد الحرام ، وأزالته وألقته عند المقام الحنبلي وما يحاذيه حتى فرشوه(٤٩)، كما قام العمال بإزالة ممشى باب الزيادة من الباب إلى حذاء السليمانية ثم أعادوا بناء الممشى إلى باب الزيادة كما كان (٥٠).

وبعد أن تم إعادة بناء الكعبة المشرفة سنة ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م حدث سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م خلل في أرضيات المسجد الحرام، فَعُرِضَ ذلك الخلل على السلطان مراد صاحب مصر، فجاء الأمر بإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح، وبعد أن فرغوا من التجديد، قاموا بفرش أرضيات المسجد الحرام بالحصى، وأصلحوا المماشي وما فيها من الممرات بالنورة(٥١).

كما أصدر السلطان محمد الرابع مرسوماً سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م بترميم أرضيات المسجد الحرام فورد صنجق جدة بعد أن فوض إليه مشيخة الحرم ونظارة عمارته، فشرع في ترميم أرضيات المسجد، ففرش حاشية المطاف بالحجر الصوان، المنحوت ثم زاد عليها زيادة قليلة (فرش بالحجر المنحوت)، وبني مقام الحنفي بالحجر المنحوت الصوان وغيَّر قبة زمزم ونقش مقام إبراهيم – عليه السلام – بالذهب(٥٢).

---

(٤٨) المنقلون: مفردها يُنقل، وهو الذي يقوم بتكحيل أحجار الجدران والأرضيات بالنورة كل تتلاحم.

(٤٩) ابن علان: إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد، تحقيق خالد عزام حمد الخالدي، الجمعة التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٧٠.

(٥٠) ابن علان: إنباء المؤيد الجليل، ص ص ٤٠٠، ٤٠٩.

(٥١) السنجاري: منائح الكرم، ٤/ ص ص ١٧٢، ١٧٣.

(٥٢) السنجاري: منائح الكرم، ٤/ ص٤٦٥.

وقد زار مكة المكرمة في عهده اثنان من الرحالة إحداهما أوليا جلبي[٥٣]، (وقد زارها سنة ١٠٨١هـ/١٦٧٠م)[٥٤]، والآخر جوزيف بتس (الحاج يوسف) [٥٥]، وقد تركوا لنا وصفاً شاملاً للمسجد الحرام إبان فترة السلطان محمد الرابع وقد رأينا فيه وصفاً مسهباً لأرضيات المسجد الحرام صورت فيه شكلها وتقسيماتها المختلفة والمواد المبنية منها، فجاء على لسان أوليا جلبي حيث قال: "... وهذه الأعمدة المنصوبة متصلة ببعضها البعض بأذرع حديدية في سماكة ذراع الرجل ... وبتناسق فإن ما بين كل عمود وآخر خمس خطوات مستوية وعلى كل عمود قد نقش علم مُذهَّب .. وقد زينت الأعمدة بالقناديل .. وكل الحجاج المسلمون يطوفون من داخل هذه الأعمدة النحاسية وهم حدود الطواف، ولا يكون الطواف من خارجها، لأن هذه الأعمدة قد أقيمت على آخر حدود قد سارت فيها قدمي الحبيب المصطفى أثناء الطواف ... وما بين هذه الأعمدة والكعبة المشرفة مفروشة بالرخام الأبيض .. وما عدا ذلك، فليست الأرضية مفروشة أو مكسوة بالرخام .. بل هي مكسوة أو مصبوبة بقطع من الصخر الأسود، والرصيف ليس مكسواً كذلك بل مفروش بالحصى ... ولا يتمكن الإنسان من السير عليه بهدوء وسكينة وهذه الأحجار الصغيرة والحصى هي كما هي، وظلت على ما هو عليه منذ أن بنى الخليل إبراهيم البيت الحرام ... وقد تركها القائمون على المسجد تبركاً، ويكتفون بتطهيرها ... ولحكمة إلهية، فلهذا أيضاً فائدة فلو فرشت أرضية الحرم في أماكن الطواف منها لشدة الحرارة فالأحجار تخفض الحرارة، ويمكن

(٥٣) هو رحالة تركي بدأ أول جولاته في اسطنبول ثم أنقل ليصف سلسلة من الرحلات الطويلة ضمن الإمبراطورية الثانية، عمرو محمد عبدالباقي)، الرحالة التركي أوليا جلبي (مجلة كلية اللغات والترجمة، مصر، القاهرة، جامعة الأزهر، العدد ١٩، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م).

(٥٤) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية الصفصافي أحمد المرسي، ط١، مصر، دار الآفاق العربية، ص٢٣٥.

(٥٥) هو أول إنجليزي وثاني أوروبي يزور مكة المكرمة في التاريخ الحديث، وهو أيضاً أصغر رحالة. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، رحلة جوزيف بنس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، (ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٧.

الطواف في هدوء وسكينة في فترات القيظ، ولكن البيت الكبير، أولاً: من الكعبة المشرفة وحتى باب الصفا، وبعرض ٣ أذرع مكسوة بالرخام الخام الطبيعي، ومثل هذا حتى باب الباسطية، وآخر حتى باب الزيادة وثالث حتى باب السلام، وما عدا ذلك فمفروش أي مصبوب بقطع حجرية ..." (٥٦).

أما جوزيف بتس فقد جاء على لسانه واصفاً أرضيات المسجد الحرام: "... فأبواب المسجد الحرام تبلغ حوالي ٤٢ باباً وهو عدد غير كبير لأن الظروف أحياناً تضطرهم لغلق بعضها أو تركها مفتوحة، وتفضي لممرات مغطاة بالحصى ما عدا بعض الممرات التي رصفت بأحجار عريضة وهي الممرات المؤدية للكعبة المشرفة والأروقة المحيطة بالصحن – حيث الكعبة المشرفة – مرصوفة بأحجار عريضة جميلة ..." "... وأريد أن أذكر مزيداً من التفاصيل عن الكعبة رغم أن البعض قد يعدون بعض التفاصيل التي سأوردها لا أهمية لها فالأرض المحيطة بالكعبة المشرفة مرصوفة بالرخام وهي المطاف أي: المنطقة التي يمارس فيها الحجاج شعيرة الطواف، ويبلغ عرضها حوالي ٥٠ قدماً، وحول المطاف توجد أعمدة نحاسية يبلغ ارتفاع الواحد منها ١٥ قدماً، ويبعد الواحد منها عن الآخر ٢٠ قدماً، وفوق منتصف كل منها قضيب حديدي يصلها ببعضها الآخر، وثمة مصابيح معلقة فوق هذه القضبان بأسلاك نحاسية ثلاثية تضاء ليلاً، فالطائفون لا يكفون في موسم الحج عن أداء شعيرة الطواف ليلاً ونهاراً، وهذه المصابيح الزجاجية تملأ لنصفها بالماء ويوضح الزيت ليطفو فوق الماء، وفوق الزيت سلك نحاس حلزوني قائم فوق ثلاث قطع صغيرة من الفلين لتجعله يطفو، وفي وسط هذا السلك النحاسي الحلزوني توضع فتيلة، أو قطناً، ويشعلونه، فيظل مشتعلاً حتى ينتهي الزيت، وفي كل يوم يغسلون هذه المصابيح ويزودونها بماء جديد وزيت وقطن أو قناديل"(٥٧).

وفي عهد السلطان مصطفى خان الثاني (١١٠٦ – ١١١٥هـ/ ١٦٩٤ – ١٧٠٣م)

(٥٦) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص٢٣٦، ٢٣٧.
(٥٧) رحلة جوزيف بتس: رحلته إلى مصر ومكة والمدينة المنورة، ص ص٤٩، ٥٠، ٥٥.

(٥٨) أرسل مختصين إلى مكة المكرمة سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م؛ لتعمير كل ما يحتاج للعمارة والتعمير يكون داخل المسجد وخارجه، فعمر المماشي في المسجد الحرام وطبطابا أجزاء غير متساوية في أرضيات المسجد الحرام بباب الزيادة وعمِّر أطراف المسجد، وما كان محتاجاً للتعمير باطناً وظاهراً(٥٩).

وفي عهد السلطان أحمد خان الثالث (١١١٥ –١١٤٣هـ / ١٧٠٣ – ١٧٣٠م)(٦٠) تمت عدة ترميمات داخلية لأرضيات المسجد الحرام بدأها سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م بفرش أجزاء من باب السلام بالحجارة، وفي ١٠ ربيع الأول سنة ١١٤٠هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٢٧م فرش أرضيات المسجد الحرام جميعها بالحجارة المنحوتة وذلك بعد أن أزيل ماكان به من الطبطاب لعدم استوائه(٦١)، وبذلك يصبح السلطان أحمد خان أول من فرش أروقة المسجد بالحجارة المنحوتة فرشاً محكماً(٦٢).

وفي عهد السلطان عبدالحميد خان الأول (١١٨٧ – ١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤ – ١٧٨٩م)(٦٣) زار مكة اثنان من الرحالة المغاربة وهما: ابن عبدالسلام الدرعي المغربي(٦٤)

(٥٨) هو ابن محمد الرابع بن إبراهيم الأول ويعد السلطان العثماني الثالث والعشرين، كان شجاعاً ومقداماً، تولى فيها الجويش العثمانية، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية (ط١، بيروت، دار النفائس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١/ ص٣٢٩.

(٥٩) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٧٢.

(٦٠) يعد السلطان الرابع والعشرون للدولة العثمانية، تولى الحكم وعمره اثنين وثلاثين عاماً. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ١/ ص ٣١٢.

(٦١) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ص ٤٠٨.

(٦٢) حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٧٢.

(٦٣) هو ابن السلطان أحمد الثالث، وقد أمضى ٤٠ عاماً في الأسر، فبقي محجوزاً في قصره مدة حكم أخيه مصطفى الثالث، يعد السلطا السابع والعشرين للدولة العثمانية، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ١/ ص٣٤١.

(٦٤) هو الإمام الحافظ العلامة المحدث الفقيه الرحالة أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام. محمد الفاسي: الرحالة المغاربة وآثارهم (مجلة دعوة الحق، العدد ٣، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، ص٢٠.

(وقد زارها موسم حج سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م)، والرحالة محمد بن عبدالوهاب المكناسي[٦٥] (قد زارها سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، وقد قاما بوصف مقتضب للمسجد الحرام، إلا أنه لا يخلو من الأهمية لتطرق الرحالة الدرعي للمسجد الحرام بشكل عام وأرضيات المطاف ومن يقوم بتنظيفها خاصةً، كذلك قياس الرحالة المكناسي لمساحة أرضيات المسجد الحرام، فيصف الدرعي أرضيات المطاف حول الكعبة المشرفة بأنها (منخفضة عن باقي الصحن)، كما يصف أرضيات المسجد الحرام بأنها (في غاية النظافة) والمطافة خاصة، حيث ترى السدنة من العبيد المعروفون بالأغوات يكنسون كل صبيحة مع ظهور الضوء، وهم في غاية السكينة والوقار والعفاف عن المسألة[٦٦].

أما المكناسي فيصف أرضيات المسجد الحرام بقوله: "... أكبر مساجد الإسلام وأعظمها، أما قديماً فالمسجد الحرام كان صغيراً جداً وهو الظاهر بوسط المسجد وهو محل المطاف، أما المسجد الحرام على الهيئة التي هو عليها من الزيادة والتوسعة، فطوله من المشرق إلى المغرب واحد وأربعون قوساً مرفوعة على أعمدة الرخام، وفي عرضه ٢٨ قوساً كذلك، عرض كل قوس ١٥ قدماً ونصف، وعرض أصل كل عمود قدم ونصف وفي بعضها ٣ أقدام، فتكون مساحة طوله ٧٠٥ قدم، وعرضه ٤٧٦ قدماً، وعدد الأعمدة التي في أصولها ٣ أقدام من غيرها، ومسقفة ٣ بلاطات فقط دائرة به من الجهات الأربعة، ووسطه براح متسع جداً وعدد أبوابه نحو الأربعين"[٦٧].

وممن زار المسجد الحرام ووصفه وصفاً دقيقاً الرحالة جون لويس بيركهارت في سنة

---

(٦٥) هو من الرحالة المغاربة تميز بدقة الملاحظة وسعة الاطلاع، كانت مشاهداته في مكة المكرمة، تنصب نحو المسجد الحرام. محمد الفاسي: الرحالة المغاربة وآثارهم، ص٢٣.

(٦٦) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي، في رحاب الحرمين، أشهر رحلات الحج، ص ص ١٣٣،١٣٢.

(٦٧) رحلة محمد عبدالوهاب المكناسي: رحلة المكناسي المسمى "إحراز المعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب" ١٧٨٥م، تحقيق محمد بوكبوط، أبو ظبي، دار السويدي، ص٢٦٧.

١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م[٦٨] في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ – ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ – ١٨٣٩م) [٦٩]، ووصف أرضيتها الموجودة في الأروقة والصحن المكشوف وصفاً مفصلاً حيث ذكر: "... لقد تم تبليط الأرضية في صف الأعمدة بأحجار كبيرة غير مثبتة بالأسمنت مع بعضها بشكل جيد، وهناك سبعة طرق معبرة، أو ممرات تقود من صف الأعمدة باتجاه الكعبة أو البيت الحرام في الوسط، وهي بعرض كافٍ لاحتواء أربعة أو خمسة أشخاص يمشون جنباً إلى جنب، وقد ارتفعت بنحو ٩ إنشات فوق الأرض، وبين هذه الممرات المغطاة بالحصى أو بالرسل، يظهر العشب وقد نما في أماكن عدة، وهذا ناتج عن مياه زمزم التي تتسرب من الجرار الموضوعة في الأرض في صفوف طويلة خلال النهار، وتقع منطقة المسجد كلها على مستوى أكثر انخفاضاً من أي من الشوارع المحيطة به، وهناك منحدر يُقدر بنحو ٨ أو ١٠ درجات نزولاً عبر بوابات الجهة الشمالية، ويؤدي إلى المنصة عند صف الأعمدة، ومنحدر آخر من ثلاث أو أربع درجات في الجهة الجنوبية من البوابات، ..." [٧٠].

(٦٨) هو رحالة ومؤرخ سويسري، انتقل إلى لندن بعد احتلال الإمبراطور نابليون لبلاده، التحق بالجمعية الملكية المعينة بالاكتشافات الجغرافية. محمد القاضي: قراءة في ترحال الجزيرة العربية، (مجلة الآطام، العدد ٤٠، النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص٣١.

(٦٩) هو السلطان محمد خان الثاني عبدالحميد الأول بن أحمد الثالث بن محمد الرابع كان السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، وهو ابن السلطان عبدالحميد الأول شهد عصره خطوات إصلاح واسعة، وحاول أن يوقظ الدولة العثمانية، وأن يدفعها إلى ما تستحقه من مكانة وتقدير، تقلد السلطان محمود الثاني مقاليد الخلافة العثمانية سنة ١٨٠٨م، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، واستقر عزمه على أن يمضي في طريق الإصلاح الذي سلكه بعض أسلافه من الخلفاء العثمانيين، المصدر: محمد عبداللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني في عهد السلطان محمود الثاني (جامعة عين شمس بمصر، كلية الآداب، رسالة دكتوراه، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص ص ٣٥ – ٣٧.

(٧٠) جون لويس بيركهارت: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مؤسسة الانتشار العربي، ص ص١١٦، ١١٧.

ويذكر في موضع آخر: "... وهناك أرضية جميلة ومرصوفة بالرخام حول الكعبة، تنخفض عن مستوى الفناء المربع الكبير بنحو ٨ إنشات، وقد وضعت سنة ٩٨١هـ بأمر من السلطان، ولها شكل بيضاوي غير منتظم وقد أحيطت بـ ٣٢ عموداً ذهبياً رفيعاً من كل اثنين منها عُلقت ٧ مصابيح زجاجية تُضاء دائماً بعد الغروب، ووراء الأعمدة أرضية مرصوفة أخرى يبلغ عرضها نحو: ٨ خطوات، وقد ارتفعت عن الأولى نوعاً ما، لكنها ذات صنعة أسوأ، ثم هناك واحدة أخرى أعلى بـ ٦ إنشات ويبلغ عرضها: ١٨ خطوة تقف عليها عدة أبنية قديمة صغيرة، وخلف تلك هناك الأرض المفروشة بالحصباء، بحيث أن درجتين عريضتين قد تؤديان من الفناء المربع نزولاً إلى الكعبة، أما الأبنية الصغيرة المذكورة آنفاً والتي تحيط بالكعبة فهي المقامات مع بئر زمزم والقنطرة المدعوة بباب السلام والمنبر، ويمارس الأغوات مهمة الشرطة في المسجد، فهم يمنعون الإخلال بالنظام ويقومون يومياً بغسل وكنس الأرضية حول الكعبة بواسطة مكانس كبيرة، وفي وقت المطر رأيت الماء راكداً على الأرضية بعلو قدم، فيقوم العديد من الحجاج في مثل هذه الظروف بمساعدة الخصيان في إزالتها عبر عدة فتحات وثقوب في الأرضية تؤدي كما يقال إلى سراديب واسعة تحت الأرض، ... وعند صلاة المغرب تغطى الأرضية المفروشة بالحصباء وجزء من الأرضية الخارجية المحاذية للكعبة بالسجاد الذي يبلغ طوله: من ٦٠ إلى ٨٠ قدماً وعرضه ٤ أقدام، وهو من صناعة مصرية، ثم يعاد لفه بعد انتهاء الصلاة، ويأتي العدد الأكبر من الحجاج بسجاداتهم الخاصة وتُمد الأجزاء البعيدة من المنطقة، والأرض تحت صف الأعمدة بالحُصر التي أخضرت من سواقين، وهذا المكان الأخير هو المكان المعتاد لتأدية صلاة الظهر والعصر"(٧١).

(٧١) بيركهارت: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص ص١٢١، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥.

وممن اهتم بالمسجد الحرام عبدالمجيد خان (١٢٥٥ – ١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩ – ١٨٦٠م)[٧٢] ففي سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م كتب إليه أن بالمسجد الحرام ظهر ميول لإحدى أسطوانتين من باب الصفا مما يلي صحن المسجد، ففصل الأمر بإصلاحها وإصلاح ما يحتاج إلى ترميم من المسجد الحرام، فهدمت القباب التي تحملها ثم أعيد بناؤها جميعاً وأصلحوا المماشي وزيد في ممشى باب الصفا وأحدثت ممشى باب علي، وفي سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م فرشت رحبة باب السلام من خارج الباب بالرخام الأبيض، وكانت قبل ذلك سقاية يباع بها الماء[٧٣].

وفي عهد السلطان عبدالعزيز خان (١٢٧٧ – ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠ – ١٨٧٦م)[٧٤] دخل مكة سيل عظيم من ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٠ نوفمبر ١٨٦١م وذلك قبل صلاة الفجر فارتفع الماء إلى قفل باب الكعبة المشرفة، وغطى مقام المالكي وملئ بئر زمزم وتكسرت

(٧٢) هو عبدالمجيد بن محمود الثاني هو سلطان العثمانيين الحادي والثلاثين، والثالث والعشرين من آل عثمان، تولى السلطنة وله من العمر ١٦ عاماً، تمكنت الدولة العثمانية في عهده من الانتصار في حرب القرم، واستعادة سوريا العثمانية من حكم محمد علي باشا، وأدخل إصلاحات عديدة في القوانين العثمانية. خالد الصقلي: رسالة إلى السلطان عبدالمجيد (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد عبدالله، العدد ١٤، ١٤٠٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٢١١.

(٧٣) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ص ص٤٠٩، ٤١٠.

(٧٤) عبد العزيز الأول (١٢٥٤ – ١٢٩٣هـ/ ١٨٣٠ – ١٨٧٦م) هو خليفة المسلمين الرابع بعد المئة وسلطان العثمانيين الثاني والثلاثين والرابع والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة. والده السلطان محمود الثاني، استوى على تخت الملك بعد وفاة شقيقه عبدالمجيد الأول في ٢٥ يونيو ١٨٦١م، ومكث في السلطة خمس عشرة عاماً حتى خلعه وزراؤه وسائر رجال الدولة في آخر مايو ١٨٧٦م وتوفي بعدها بأربعة أيام وقيل انتحر وقيل أيضاً قد قتل. امتاز عهده بغنى الدولة بالرجال وبكثير من الإصلاحات التي تمت على يد صدريه محمد أمين عالي باشا وفؤاد باشا، الذين كسبا شهرة في التاريخ العثماني، ولم تبدأ مشاكل السلطنة بالتفاقم – الذي توج بإعلان إفلاس الدولة عام ١٨٧٥ – إلا بعد وفاتهما؛ كما أنه السلطان العثماني الوحيد الذي قام بزيارات خارجية سياسية إلى مصر وإلى كلٍ من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ولم يشهد عهده أي حروب خارجية للدولة. المصدر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العثمانية، ص٥٥٥.

أرض الأروقة والمماشي وحاشية المطاف –أي: التي خارج الأعمدة النحاس التي يوقد فيها المصابيح –وتحفرت بسبب السيل الذي دخل الحرم وأصيب المسجد الحرام بأضرارٍ كثيرة، وعندما علم السلطان عبدالعزيز بما حدث في المسجد الحرام، أصدر الأمر السلطاني بإصلاح المسجد الحرام، فقام نائب الحرم في عهده بإخراج جميع ما في الأروقة من الطبطاب القديم التالف والمماشي وحاشية المطاف وعوض ذلك بأرضيات جديدة، وأصلح كل ما تخرب بأحسن وأتقن مما كان عليه في السابق فأتقنوها غاية الإتقان بحيث لم يعمر قبل هذه العمارة منذ بني الحرم، وانتهوا من العمل كله في نهاية شهر ذي الحجة من نفس السنة[٧٥].

وفي عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني (١٢٩٣ – ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ – ١٩٠٩م)[٧٦] جرت عمارة عمومية عظيمة في عموم المسجد الحرام داخلياً وخارجياً شملت أرضيات المسجد الحرام، وذلك سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، وسبب ذلك أنه مضى أكثر من ٣٥ سنة على عمارة السلطان عبدالعزيز لم تحدث فيه إصلاحات أو ترميمات، كذلك تعاقبت السيول والأمطار ولعدم وجود مشرفين يقومون بصيانة وإصلاح ما عطل بالمسجد الحرام فتكاثر الغبار على الأساطين الرخام حتى غطى عليها طبقة مخالفة للونها البلوري بلون قاتم، وذهبت الألوان والأصبغة والنقوش التي حلي بها عقود وجدران المسجد الحرام، كذلك تكسر الحجارة المفروشة بداخل الأروقة والمماشي وحاشية أرضيات المطاف الموجود

(٧٥) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ص ص٢١٠ ، ٢١١.

(٧٦) عبدالحميد الثاني هو خليفة المسلمين الثاني بعد المئة والسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، والسادس والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، تولى الحكم في (١٠ شعبان ١٢٩٣هـ – ٣١ أغسطس ١٨٧٦) وخُلع بانقلاب سنة (٦ ربيع الآخر ١٣٢٧هـ – ٢٧ أبريل ١٩٠٩)، وُضع رهن الإقامة الجبرية حتى مماته. وهو آخر من امتلك سلطة فعلية منهم. خلفاً لأخيه السلطان مراد الخامس. يعرف بـ "أولو سُلطان عبد الحميد خان" أي "الخاقان الكبير"، و"السلطان الأحمر"، و"السلطان المظلوم"، وغازي (الغازي). المصدر: محمد مصطفى الهلالي: السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، (ط١، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م)، ص٢٠-٢٢.

عليها المقامات الأربعة[٧٧].

فأصدر السلطان عبدالحميد خان مرسوماً سلطانياً سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م بإجراء ما يلزم لأرضيات المسجد الحرام من تجهيز وإصلاح وترميم وتنظيف ونقوش، فقام ناظر الحرم الشريف في عهده بإجراء كل ما يلزم، فنظفوا جميع أسطوانات الرخام ونظفوا داخل القبب، ثم أصلحوا عموم الأحجار المرصوفة على أرض كل الأروقة والمماشي، وكذلك حاشية مدار أرضيات المطاف[٧٨].

أما السلطان محمد رشاد خان (١٣٢٧ – ١٣٣٧هـ/ ١٩٠٩ – ١٩١٨م)[٧٩] فقد كان له اليد الطولى في أعمال أرضيات المسجد الحرام وذلك نظراً لما أحدثه السيل العظيم سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م (وقد عرف بسيل الخديوي) فامتلأ المسجد الحرام كله وارتفع الماء إلى عتبة باب الكعبة المشرفة وغطى الحجر الأسود وظل الماء داخل المسجد الحرام يوماً وليلة حتى خرج من الأبواب، وقد أحدث تصدع وخلل كبير من أسطوانات الرخام وبلاط وجدار المسجد الحرام وغير ذلك من الخراب، فأصلح شريف مكة الشيء اليسير منه وبقي إصلاح الأساطين، فأمر السلطان محمد رشاد سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م بعمارة المسجد الحرام عمارة كاملة وتامة وقد بدأ العمل في أول شهر صفر من نفس العام المذكور فأصلح ميول الأساطين بعد أن عمل المعماريون ٢٠ طارة من الخشب الجاوي القوي على قدر العقود المركبة على تلك الأسطوانات؛ لكي يحملوا عليها تلك العقود واستبدال الأسطوانات أسفلها، ثم قاموا بإصلاح كل أرضيات الأروقة الحجرية ورخم عموم الخراب الواقع بأرضيات

(٧٧) حسين باسلامة: تاريخ وعمارة المسجد الحرام، ص٢٧٤: ٢٧٦.

(٧٨) حسين باسلامة: تاريخ وعمارة المسجد الحرام، ص ص٢٧٤: ٢٧٦.

(٧٩) تولى حكم الدولة العثمانية عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، بعد خلع أخيه السلطان عبدالحميد الثاني، وكانت أوضاع الدولة العثمانية تسير من سيء إلى أسوأ، وخاصة بعد انتشار الحركات القومية، وكان السلطان محمد حليماً سليماً مشفقاً مرهفاً، وكان يساعد الفقراء والمحتاجين، وقد استم بحسن الخلق والتواضع، علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، (ط٤، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١١٠.

المسجد الحرام(٨٠).

وفي الحقيقة كان سلاطين آل عثمان، حريصين على متابعة أي خلل طارئ على أرضيات المسجد الحرام بالتنظيف والتبديل والتغيير، وحصلوا على السبق في فرش أرضياته بالحجارة الجبلية المنحوتة، وكذلك نالوا الشرف في أنهم أول من فرشوا أرضيات المسجد الحرام بالرخام المرمر الأبيض الناصع البياض.

المبحث الثاني

أرضيات المسجد الحرام في العصر السعودي

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله –:

لما ضمَّ الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود – يرحمه الله – الحجاز صدرت أوامره في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م بعمارة المسجد الحرام، ومن ضمن تلك الأعمال أرضيات المسجد الحرام حيث قام بترخيم عموم أرضيات المسجد الحرام وإصلاح كل ما يقتضي إصلاحه منها، من ترميم عموم الخراب الواقع في جدار المسجد الحرام وأرضه وأعمدته، وإصلاح المماشي وحاشية المطاف وعموم الأبواب وطلاء مقام إبراهيم الخليل – عليه السلام – بالدهان الأخضر، وكذلك الأساطين النحاس الواقعة حول المطاف وغير ذلك من الإصلاحات اللازمة للمسجد الحرام (٨١).

ثم في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م أصدر الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – مرسومه السامي بأن توضع سرادقات في حصاوي المسجد الحرام؛ ليستظل تحتها المصلون من وفود بلد الله الحرام، ويتوقون بظلها من ضربة الشمس وحر الظهيرة، ونتج من ذلك نفع عظيم لقسم كبير من المصلين، وأكثر من ١٠ آلاف حاج كانوا يؤدون صلاتهم في

(٨٠) حسين باسلامة: تاريخ وعمارة المسجد الحرام، ص ص٢٧٧: ٢٨١؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ص٢٤٠.

(٨١) ضيف الله الزهراني: عمارة المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز (مجلة اتحاد الآثاريين العرب، القاهرة، العدد ٤، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٣٣.

حصاوي المسجد الحرام في وقت صلاتي الظهر والعصر(٨٢).

ثم في أوائل سنة ١٣٤٦/١٩٢٧م صدرت أوامر الملك عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – بإجراء عمارة المسجد الحرام داخلياً وخارجياً على حسابه الخاص(٨٣)، وفي سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م صدرت أوامر الملك عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – بإجراء عمارة كاملة لكامل المسجد الحرام، فرفع صاحب السمو الملكي نائب الملك على الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى الملك عبد العزيز بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٣٥٤هـ/ ٨ نوفمبر ١٩٣٥م بتشكيل لجنة مؤلفة من:

نائب رئيس مجلس الشورى الثاني	رئيساً للجنة
صاحب الفضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبالقادر الضيبي	الفاتح الثاني لبيت الله الحرام
الشيخ سليمان أزهر	معاون مديرية الأوقاف بمكة
السيد هاشم بن سليمان	نائب الحرم ووكيل رئيس مجلس إدارة المسجد الحرام

وعهد إلى هذه اللجنة بإجراء الكشف أولاً: على عموم ما يلزم للمسجد الحرام من عمارة وإصلاح وتجديد (كل ما يلزم تجديده من أبواب وطبطاب وغير ذلك)، فقامت اللجنة بما عهد إليها وأجرت الكشف اللازم على المسجد الحرام بحضور مهندس أمانة العاصمة ومعاونه وكبار المعلمين والمنقلين والتجاريين وقرروا ما يلي:

إصلاح الأرضية المفروشة بالحجر الصوان الواقعة حول مدار المطاف التي عليها المقامات، وداخل الحصاوي بما في ذلك المماشي بإزالة عموم الأحجار غير الصالحة ورصفها من جديد رصفاً جيداً متقناً وأن يكون حبسها ولحامها في بعضها بالأسمنت والنورة والجصاص، ويكون نسبة ذلك من كل صنف الثلث بصفة فنية منتظمة على نسق واحد(٨٤)، إصلاح أرضية أروقة المسجد الحرام وذلك بإزالة الأحجار غير الصالحة ووضع غيرها.

وبدأ العمل في مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة، فرمم عموم فرش أروقة

(٨٢) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٨٢.
(٨٣) نفسه، ص٢٨٣.
(٨٤) ضيف الله الزهراني: عمارة المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، ص٣٣.

المسجد الحرام من جهاته الأربعة مع زيادتي دار الندوة وباب إبراهيم وعموم بلاط الأبواب، وطلي الأساطين النحاس المحاطة بمدار المطاف التي تعلق فيها مصابيح الكهرباء بلون أخضر، وطلى رؤوسها بلون ذهبي بعد أن أمر بإبلاغ اللمبات (ألفاً) موزعة على المطاف وبقية المسجد الحرام وأضاف إلى ذلك فنارات اللوكس زيادة في الإنارة(٨٥)، وملأ الفراغ الذي بين الأحجار وأحكمه إحكاماً جيداً وفرش أرضيات المسجد الحرام بالحصباء بعد أن أزال ما فيه من الأتربة المتراكمة(٨٦).

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك سعود – يرحمه الله –:

بعد أن تزايدت أعداد الحجاج والمعتمرين والزوار سواء من داخل المملكة العربية السعودية أو من خارجها أصبح أمل الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – أن تتم توسعة للحرم المكي الشريف، فأمر بعمل الدراسات اللازمة لتوسعته، ففي الوقت الذي كانت فيه المشروعات والأعمال التطويرية تجرى على قدم وساق في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، وكانت هذه الأعمال والتوسعات أمنية غالية للملك عبدالعزيز – يرحمه الله – وقد تم في عهده التخطيط للمشروع واستمرت دراسة كامل جوانبه في عهد الملك سعود – يرحمه الله – حتى عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) وكان المسجد الحرام في هذا العام مستطيل الشكل تقريباً، ويغطي مساحة تبلغ ٢٠٠×١٢٠م٢(٨٧) ويتكون من العناصر التالية:

١– المطاف حول الكعبة وهو بيضاوي الشكل بمحاور كبيرة وصغيرة على التعاقب وكان مبلطاً بالرخام وعلى محيطه الخارجي قناديل نحاسية للإضاءة(٨٨).

---

(٨٥) أحمد الرهوني: الرحلة المكية، ١٣٥٥ – ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، المغرب، تطوان، معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الأسبانية، ص ص١٠٢– ١٠٣.

(٨٦) محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ط١، الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٨٢.

(٨٧) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص٢٤٠؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص ص١٠١، ١١٠.

(٨٨) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ نفسه، ص١٠٥.

٢– مقام إبراهيم: في نفس الموقع الذي يوجد فيه اليوم، وقد وضع المقام في مبنى مسقوف ومن خلفه باب بني شيبة(٨٩).

٣–بئر زمزم: مغطى ببناء ذي قبة بني سعد(١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م) ويتكون من دورين، وكان الدور الأول يستعمل كمكبرية، وعملت ترتيبات لإمداد الحجاج بالماء بالدور الأرضي(٩٠).

٤– المنبر: في موقع ملاصق لمقام إبراهيم – عليه السلام – من الناحية الشمالية، وقد أقيم في سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م على الطراز العربي القديم من الرخام الأبيض وجاء هدية من السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني(٩١).

٥– المقامات الأربعة: وقد أقيمت على المحيط الخارجي للمطاف لتابعي المذاهب الأربعة(٩٢).

٦– الحصاوي: وهي المناطق المكشوفة غير المبلطة بين المطاف وأعمدة المسجد وكانت مغطاة بالحصى الرفيع وبينها ممرات توصل إلى المطاف(٩٣)

وهذا هو الوصف العام للحرم المكي في تلك السنة، وكانت الصعوبات تواجه الحجاج في الصلاة والطواف؛ نظراً لضيق مساحة المسجد، وعدم كفاية أماكن الصلاة ووجود عوائق متعددة في المطاف، بالإضافة إلى عدد من العوائق الأخرى التي جعلت الحاجة ماسة لتوسعة المسجد وعمارته؛ حتى يتمكن من استيعاب الأعداد المتزايدة من الحجاج(٩٤).

وفيما يخص بحثنا والخاص بأرضيات المسجد الحرام نجد أن المشاكل التي واجهت الملك سعود – يرحمه الله – في توسعة أرضيات المطاف لازدياد المعتمرين والحجاج سنة بعد أخرى تمثلت في أربعة معوقات أجلت تحقيق حلمه بتوسعة دائرة أرضيات المطاف

(٨٩) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ نفسه، ص١٠٥.
(٩٠) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ نفسه، ص١٠٥.
(٩١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص٢٤٠؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٠٥.
(٩٢) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ وزارة المالية: نفسه، ص١٠٦.
(٩٣) حامد عباس: نفسه، ص٢٤١؛ وزارة المالية: نفسه، ص١٠٦.
(٩٤) حامد عباس: قصة نفسه، ص٢٤١.

وتبليط أغلب مساحة الصحن المكشوف من المسجد الحرام برخام مدينة كراراً[٩٥] المستورد من إيطاليا[٩٦].

فكانت أولى تلك المعوقات: وجود المقامات الأربعة المقامة على حافة حاشية المطاف؛ والتي تأخذ مساحة كبيرة تعوق معها زيادة دائرة المطاف القديمة المحددة بأعمدة نحاسية، أما ثانيها: فكانت المباني المقامة على بئر زمزم والتضييق على الطائفين أثناء طوافهم – حتى أنها تسببت في أحيان إلى مقتل بعض الأنفس دهساً أثناء الطواف بسبب التدافع عند بئر زمزم أثناء الطواف –، أما المعوق الثالث: مكان وجود المنبر الرخامي بجوار دائرة المطاف – والذي لا يسمح بتوسعة دائرة المطاف –.

وعلى الرغم من تلك المعوقات نجد أن الملك سعود – يرحمه الله – قد تغلب عليها جميعها بإرادته وتم توسعة أرضيات المطاف كما أرادها وتم فرشها بالرخام الكرار الإيطالي وسوف أوضح تلك المعوقات وكيف تم التغلب عليها من خلال النقاط الآتية:

أولاً - توسعة محل المطاف الشريف:

كان المطاف الأول هو نفس المسجد الحرام من عهد سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – إلى السنة الرابعة من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، أي: إلى سنة ١٧هـ/٦٣٨م، ففي هذه السنة زاد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المسجد الحرام (وهي أول زيادة حصلت فيه)، وبقيت حدود المسجد الحرام الأول، الذي هو نفس المطاف، محفوظة معلومة إلى عهد الملك سعود – رحمه الله – رغم تكرار الزيادة في المسجد الحرام فظلت مساحة أرضيات المطاف الأول كما هي لم يفكر أحد من

(٩٥) يوجد نوعين منه، الأول هو الرخام العادي المستخدم في كافة المواقع الداخلية للمسجد الحرام مثل أدوار مبنى المطاف والسعي الغير معرض لأشعة الشمس، والثاني هو الرخام المفرغ ويستخدم في المزلقانات بتصميم مختلف ليرفع احتكاك سطحا لرخامة وجميعها بسمك (٥سم) وهذا النوع يستورد من مدينة كرار بإيطاليا. تقرير تم الحصول عليه من القسم الهندسي في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

(٩٦) نقلاً عن القسم الهندسي برئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

سلاطين المسلمين وملوكهم أن يوسعوها ويزيدوا رقعتها(٩٧).

فلما جاء الملك سعود بن عبدالعزيز – رحمه الله – رأى ضرورة توسعة أرضيات المطاف؛ حرصاً على راحة الحجاج في مواسم الحج، فأصدر مرسومه سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م بتوسعة أرضيات المطاف وهدم المقامات الأربعة (التي في أطراف المطاف) وإزالة المبنى المقام فوق بئر زمزم(٩٨).

فجاءت توسعة أرضيات المطاف في الأسبوع الأخير من شهر شعبان سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م حيث ابتدأوا في قلع الرخام الذي كان في المطاف والمحيط به، ثم حفروا الأرض المحيطة بالمطاف؛ لتتساوى به بعد وضع الرخام عليها، كما أنهم أزالوا في الأسبوع الأول من شهر رمضان من السنة المذكورة سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م الأعمدة الخضر التي كانت في حدود أرضيات المطاف الأول علامة عليه، ثم بدؤوا بعد حفر الأرض في فرشها بالأسمنت ثم وضعوا الرخام المرمر عليه حتى تساوى هذا المطاف الجديد بالمطاف القديم، وصار على سمته وبلصقه ومقدار مساحة الجديد كمقدار مساحة القديم تقريباً(٩٩).

وانتهوا من فرش المطاف الجديد بالرخام في النصف الأول من شهر شوال من السنة المذكورة، وتعد توسعة المطاف أي: "المطاف الجديد" هو نفس المكان الذي زاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المسجد الحرام سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م فلا تنقص هذه التوسعة في المطاف ولا تزيد عن مقدار ما زاده عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المسجد الحرام إلا بمقدار قليل نحو مترين أو ثلاثة فقط لاغير(١٠٠).

ونتيجة لهذه التوسعة أصبح قطر المطاف ٦٤.٨م على اعتبار أن الكعبة مركز القطر، ويحيط به ممران متجاوران على محيط أرضيات المطاف عرض كل منهما ٢.٥م

(٩٧) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ٩٦.
(٩٨) الكردي: المرجع السابق، ٥/٩٦؛ الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٣٥.
(٩٩) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص ٩٦؛ خالد العبيد: الحرم المكي الشريف، ص٥٠.
(١٠٠) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص٩٦.

وعلى ارتفاع ٢٠سم، وكسيت أرض المطاف برخام أبيض ذي أحجام مختلفة استورد من كرارا بإيطاليا، وبُلطت بعض الأماكن برخام أسود للاحتفاظ بمكانها(١٠١).

وكان الجزء الداخلي من الدائرة الذي يستعمل بصفة مستمرة للطواف خلال الأيام العادية غير مميز بصفوف، أما الجزء الخارجي من الدائرة فقد تم تبليطه بثمانية صفوف دائرية مميزة بشريط من الرخام الأسود بعرض ١٠سم، وتستخدم كصفوف في صلوات الجماعة، وبُلطت الممرات المؤدية (المماشي) إلى المطاف بالرخام، وحدود هذه الممرات لم تتغير منذ قرون عديدة، بل أن بعضها – على ما يُروى – يرجع تاريخها إلى قبل الإسلام(١٠٢).

وقد أصبحت مساحة أرضيات المطاف ٣٠٥٨م٢ حول الكعبة وتتسع باستثناء الممرات المحيطة بالمطاف حوالي ٨٥٠٠ شخص، وفي موسم الحج تبلغ مساحة المطاف مع الممرين ٤١٥٤م٢ تستوعب لحوالي ١٤ ألف شخصٍ(١٠٣).

ولما وسع القائمون على مشروع التوسعة أرضيات المطاف لم يكونوا يرغبون في وضع حد يفصل بين المطاف القديم والمطاف الجديد فتجادل معهم المؤرخ محمد طاهر الكردي (مؤرخ المسجد الحرام آنذاك) واقترح في الجريدة التي تصدر بمكة أن لابد من وضع حد من الرخام الأسود على حدود المطاف القديم ليكون فاصلاً فارقاً بينه وبين المطاف الجديد لبيان كلاً منهما وللمحافظة على حدود كل شيء كما هو الواجب، فعندئذ عملوا الحد الفاصل بينهما وأصبح المطاف الجديد يبدأ من خط الرخام الأسود الذي يدور حول الكعبة، ولكن رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش رأى جواز توسعة المطاف، وأنه لا حاجة لوضع الحد المذكور وقد دعاه الملك سعود – يرحمه الله – إلى داره بمكة المكرمة وألقى كلمة أمام الملك أوضح فيها جواز توسعة

(١٠١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص١٥٩؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٦٥.
(١٠٢) حامد عباس: المرجع السابق، ص١٥٩؛ وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٦٥.
(١٠٣) حامد عباس: المرجع السابق، ص١٥٩؛ وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٦٥.

المطاف، فتم توسعة أرضيات المطاف لزيادة أعداد المسلمين الحجاج(١٠٤).

وقد كانت أرضيات المطاف القديم على شكل بيضاوي من أصل الوضع الطبيعي في بادئ الأمر، وسببه أيضاً وجود حِجْر إسماعيل – عليه الصلاة والسلام –، في جهة واحدة من الكعبة المشرفة وهي الجهة الشمالية، فالطائف يطوف بلصق الكعبة من الجهات الثلاثة، فإذا وصل إلى الجهة الشمالية صار يطوف من وراء حِجْر إسماعيل – أي: مبتعداً عن الكعبة من هذه الجهة بمقدار ١٠ أمتار –، لأن من شروط الطواف: أن يكون من وراء جدار الحجر؛ فلهذا كان المطاف القديم على شكل بيضاوي بطبيعة الحال لا بفعل فاعل(١٠٥).

وقد حرر الكردي المؤرخ طول أرضيات المطاف القديم من الجهات الأربعة محرراً مضبوطاً بالأمتار سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فجاء بيانها كالتالي: طول أرضيات المطاف القديم من جدار الكعبة الذي فيه الباب من جهة الشرق إلى أول مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ١١٫٥٠م، وطول المطاف القديم من جدار الكعبة من ظهرها – أي: من الجهة الغربية – ١٦٫٦٥م، وطول المطاف القديم من جدار الكعبة من تحت ميزابها – أي: من الجهة الشمالية بما فيه حجر إسماعيل وسمك جدارة – ٢٢٫٣م، طول المطاف القديم من جدار الكعبة الذي بين الركنين من الجهة الجنوبية ١٥٫٢٠م(١٠٦).

أما أرضيات المطاف الجديد فهو على شكل دائرة كاملة الاستدارة وقد كان هذا الشكل الدائري من عمل المهندسين الذين أشرفوا على توسعة المطاف، وقد حرر مؤرَّخ عمارة الملك سعود بالحرم المكي الشريف المؤرخ الكردي طول المطاف الجديد من الجهات الأربعة – أي: الزيادة الواقعة على المطاف القديم –، وحررها بالأمتار في نفس السنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فجاء بيانها كالآتي: طول المطاف الجديد من الجهة الشرقية للكعبة – أي: من مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ١٥.٣٠م، طول المطاف الجديد من الجهة

(١٠٤) الكردي: المرجع السابق، ٥/٩٧، ٢٧٠.
(١٠٥) الكردي: المرجع السابق، ٥/٩٧.
(١٠٦) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص٩٧ .

الغربية – أي: من جهة ظهر الكعبة ١٠.٧٥م، طول المطاف الجديد من الجهة الشمالية – أي: من جهة حِجْر إسماعيل عليه الصلاة والسلام ٦٥ ٤م، طول المطاف الجديد من الجهة الجنوبية أي من جهة الركنين الأسود واليماني – ٥٠ ١١م، وبإضافة مقدار المطاف القديم على المطاف الجديد يظهر مقدار كامل المطافين(١٠٧).

وقد قام المؤرخ الكردي برسم المطافين القديم والجديد وقد قسمهما إلى أربعة أقسام متساوية(١٠٨) بين مقدار طول المطاف القديم وطول المطاف الجديد من الجهات الأربع، وقد أخذه من المهندسين الذين اشتغلوا في توسعة المطاف من أواخر شهر شعبان إلى أوائل شوال من سنة ١٣٧٧هـ/ أواخر شهر فبراير إلى أوائل شهر أبريل ١٩٥٧م(١٠٩).

وجعل مياه الأمطار والسيل التي تتجمع على أرضيات المطاف والممرات تتصرف في مجرى مستطيل ٣٠سم × ٦٠سم مثبتة في الدرجة المنخفضة للدائرة الذي حول المطاف، وتنحدر المياه من سطح المطاف إلى المجرى خلال شبك معدني، ولهذا المجرى منفذ واحد يوصله على خط المجاري التي تربط منطقة زمزم لمحطة الظلمات في البدروم(١١٠).

ثانياً - هدم المقامات الأربعة التي بحاشية أرضيات المطاف:

كان يوجد بالمسجد الحرام أربع مقامات ينسب كل واحد منها إلى أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب وهي: "المقام الشافعي والمقام الحنبلي والمقام الحنفي والمقام المالكي"(١١١)، وكان يتواجدون داخل حدود أرضيات المطاف القديم من جهاته الأربعة التي تتميز بأرضيتها المفروشة بالحجر الصوان، وكل مقام عبارة عن مصلى لأتباع كل مذهب من المذاهب الأربعة وقد كان لكل مقام مظلة خاصة لتوفير مساحات من الظل للمصلى

(١٠٧) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص٩٧.
(١٠٨) انظر الملاحق، ص٥٦.
(١٠٩) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ٩٨.
(١١٠) وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٨٣.
(١١١) الكردي: المرجع السابق، ٥/٣٢٦.

ووقايته كذلك من المطر، وقد أتاحت لهم أفضل سماع للأعداد الغفيرة لصوت الإمام؛ نظراً لعدم توفر مكبرات للصوت في ذلك الزمن(١١٢).

ولم يُعْرَف أول من أحدث هذه المقامات وعن سنة حدوثها، ويبدو أنها حدثت بين القرنين ٤-٥هـ/ ١٠-١١م، وكانت مواضع وأماكن أئمة الصلوات الخمس في المسجد الحرام على المذاهب الأربعة فلا هي مقامات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ولا هي مقامات نفس الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة(١١٣).

فالمقام الحنفي؛ أول ما اتخذ كان بمثابة المكبرية للتبليغ والدليل على ذلك صورته التي كانت عليه حيث يرتقي عليه المكبرون الذين يبلغون الناس حركات الإمام وموقعه في طرف حاشية المطاف، مقابل لميزاب الكعبة، ولم يكن في بادئ الأمر ينسب للحنفي بل كان يطلق عليه لفظ "المقام" فقط أي مكان إقامة الصلوات، أو مقام مبلغ حركات الإمام، ولما كان المقام بطبيعة الحال مسقوفاً، كان إمام المسجد الحرام يصلي تحته، ولا يبعد أنه كان حنفي المذهب، فنسب المقام إليه، فأطلقوا عليه المقام الحنفي فرقاً بينه وبين مقام إبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام – ثم بمرور الأيام وتوالي السنين ، أحدثوا أربعة أمكنة حول حاشية أرضيات المطاف لكل مذهب من المذاهب الأربعة فكان خاص، وأطلقوا عليها اسم المقامات الأربعة (١١٤).

١ – هدم المقام الحنبلي:

كان يقع جهة الجنوب من المسجد الحرام ناحية المكبرية جهة باب الملك عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – مستقبلاً الحجر الأسود ومجاوراً لمبنى بئر زمزم لسنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، فتم إزالته وإعادة بنائه من دور مستنداً على أربعة أعمدة وتم تعديل ناحيته بحيث يكون مقابلاً للحجر الأسود وعلى مستوى سطح صحن المطاف وملاصق لحد الصحن،

(١١٢) فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٨.
(١١٣) الكردي: المرجع السابق، ٣٢٦/٥.
(١١٤) الكردي: المرجع السابق، ٣٢٧/٥.

وحوله مفروش بالحصى، وفي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢ تم إعادة طلائه بألوان لطيفة(١١٥)، وعندما أراد الملك سعود بن عبدالعزيز –يرحمه الله – أثناء التوسعة السعودية الأولى توسعة المطاف الشريف فصدرت الموافقة الملكية بذلك فأمر بهدم المقامات الأربعة وقاموا بتنفيذ الرغبة الملكية فهدموا أولاً "المقام الحنبلي"؛ الذي هو بقرب بئر زمزم وذلك ليلة الثلاثاء ٢١ شعبان سنة ١٣٧٧هـ/ ١٢ مارس ١٩٥٧م(١١٦).

٢– هدم المقام المالكي والحنفي:

كان يقع جهة الغرب من المسجد الحرام مما يلي خلف الكعبة من الركنين الغربي واليماني – أي: من ناحية باب العمرة –، وكان على مستوى سطح المطاف ومن دور واحد مقام على أربعة أعمدة وحوله محاط بالحصى(١١٧)، وعندما أراد الملك سعود بن عبدالعزيز توسعة المطاف الشريف أثناء أعمال التوسعة للمسجد الحرام فأمر بهدم تلك المقامات لإعاقتها لتوسعة المطاف فبدأوا بالمقام الحنبلي ثم تقدموا نحو المقام المالكي الواقع بين المقامين الحنبلي والحنفي لهدمه في ليلة الأربعاء ٢٢ شعبان من نفس السنة المذكورة سنة ١٣٧٧هـ/ ١٣ مارس ١٩٥٧م فتم هدمه(١١٨).

وعندما صدرت أوامر الملك سعود بن عبدالعزيز –يرحمه الله –بهدم المقامات الأربعة التي بحاشية أرضيات المطاف؛ لأجل توسعة محل الطواف وتم تبليطه بالرخام المرمر المستورد من كرارا بإيطاليا فتم هدم المقامات: الحنبلي والمالكي والحنفي سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٣ – هدم المقام الشافعي:

أما هدم المقام الشافعي تأخر كثيراً عنهم لأن ليس له بناء مستقل وحده كالمقامات السابقة الذكر، فهو يقع فوق بئر زمزم، فهدمة لا يكون إلا بإزالة هذا البناء، ثم إن الناس

(١١٥) فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٩٤.
(١١٦) الكردي: التاريخ القويم، ٥/٣٣٠.
(١١٧) الكردي: التاريخ القويم، ٢/٢٧٠.
(١١٨) الكردي: التاريخ القويم، ٥/٣٣٠.

في حاجة إلى من يبلغهم حركات الإمام، ومكبرات الصوت فوق هذا البناء، فلا يمكن إزالته لتوسعة أرضيات المطاف إلا إذا بنى بمكبرات الصوت موضع خاص ثابت، فلم يتقرر ذلك لدخول موسم الحج ووصول بوادر الحجاج، واستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، عندما تقرر هدمه فهدموا مقام الشافعي[١١٩] وبذلك تم هدم المقامات الأربعة لأجل توسعة أرضيات الطواف حول دائرة الكعبة المشرفة.

ثالثاً - إزالة بئر زمزم القديم:

وهو بئر مدور الفوهة عليه قطعة من رخام المرمر على قدر سعة فمه ويبلغ ارتفاعها عن بلاط الأرض التي حول البئر من داخل القبة: ٢.٥٠٠ ذراع – أي: ١٢٠سم، وأرض بيت زمزم أو داخل قبة زمزم مفروش بالرخام الأبيض ويحيط بفم البئر من أعلاه دربزين مصنوع من الحديد السميك وفوق الدرابزين شبكة من حديد وضعت فوق ذلك الدرابزين سنة ١٣٣٢هـ/١٤١٤م[١٢٠].

أما البناء القائم على بئر زمزم فهو بناء مربع الشكل من الداخل طول كل ضلع منه ١١ ذراعاً (بذراع السيد) وسطح البئر مغموس بالحجر في الجهة الشرقية باب قبة زمزم وعلى جناح الباب الشمال طاقة عليها شباك، وكان في جدار الطاقة سبيل قديم ثم أبطل عمله وشبابيك لكل منفذ شباك، ومن الجهة الغربية مما يلي الكعبة المعظمة ٣ منافذ ولكل منفذ شباك وعلى نحو نصف سطح البئر الجهة الغربية المقابلة للكعبة المعظمة مظلة قائمة على ٤ أعمدة بنيت في النصف الأمامي من سطح البئر، وعلى ٤ أعمدة لطاف وضعت اثنان منها على جدار البئر الأمامي مما يلي الكعبة المعظمة واثنان على حد منتصف سطح البئر من الجهة الشرقية، وأما نصف السطح الشرقي فهو مكشوف ليس عليه ما يظله، وفوق هذه المظلة الأمامية سقف مصنوع من الخشب القوي وفوق السقف جملون

(١١٩) الكردي: المرجع السابق، ٥/٣٣٠.
(١٢٠) حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٨١؛ الكردي: التاريخ القويم، ص٨٤.

مصفح بألواح من الرصاص على شكل بديع ويحيط بالمظلة من جهاتها الثلاثة: الشمالي والغربي والجنوبي ٥ شبابيك: أحدها من جهة الشمال و٣ من الجهة الغربية وواحد من الجهة الجنوبية وذلك مصنوع من السلك الحديد الدقيق والمظلة مدهونة بصباغ أخضر، وهذه المظلة خاصة برئيس الموقتين الذي يبلغ المؤذن الأذان في الأوقات الخمس وهم على منابر المسجد الحرام(١٢١).

ولما كانت رغبة الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – توسعة أرضيات دائرة المطاف فأمر بإزالة الأعمدة النحاسية التي تلتف حول المطاف القديم كذلك صدرت أوامره بهدم المقامات الأربعة التي تتماس مع حاشية أرضيات المطاف المبلط بالحجر الصوان فتم هدمهم سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م وتأخر هدم مقام الشافعي لوقوعه أعلى بيت زمزم، فأمر الملك سعود – يرحمه الله – بهدم بيت زمزم القديم وما يعلوه من مقام الشافعي للاستفادة من سطحها ضمن مشروع توسعة أرضيات المطاف، إلا أنه وقبل البدء في الهدم سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، بئر زمزم داخل قبو (بدروم) تحت مستوى الأرض في صحن المطاف، حيث تم خفض فوهة بئر زمزم عن مستوى المطاف بمقدار: ٧٫٢م وقدرت مساحته: ١٣٥م٢ مما استلزم تغطية فتحة البئر فسقف من فوقها لتتساوى بسطح المطاف، ودخل السقف بما فيه فناء واسع وراء المقام في المطاف وبذلك جعل السقف جزءً من صحن المطاف، فتمكن الحجاج والعمار بذلك من أداء نسك الطواف والشرب من ماء زمزم دون أن يزاحم بعضهم بعضاً، ويمكن الوصول إلى مستوى الأرض المحيطة بالبئر عن طريق درج من الجهة الشرقية على عمق ٧٫٢م تحت المطاف، وبعرض ١٤٫٧٦م بلغ عددها: ٢٤ درجة ومنها إلى نفق يتصل بفوهة بئر زمزم من تحت بناء زمزم وتبلغ مساحة النفق ١٠٠٫٧٤م٢ به صنابير للمياه عددها: ٣٩ صنوبراً، وقد قسم الدرج والنفق إلى قسمين:

(١٢١) حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٨١، الكردي: التاريخ القويم، ٣/ ص ص٨٤، ٨٥، ٨٦.

قسم للرجال بمساحة ٥٤.٢٧م٢ مجهز بـ ٢٠ صنوبراً وقسم للنساء يشغل مساحة ٤٦.٤٧م٢ مجهز بـ ١٩ صنوبراً، وجعلت غرفة البئر داخل شبكة حديد وجعل لخزن الماء في هذا التعمير مخزنان كبيران تحت الأرض على جانبي درج زمزم(١٢٢).

وفي سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م تم إزالة المباني المقامة على فوهة بئر زمزم وكذلك مقام الشافعي(١٢٣)، وكان من أثر هدم المقامات الأربعة والمباني المقامة على بئر زمزم أن زادت مساحة أرضيات المطاف من ٣٢٩٨م٢ إلى ٧١١٩م٢(١٢٤) وتم تبليطها بالرخام المرمر المستورد من مدينة كرارا بإيطاليا.

رابعاً - نقل منبر السلطان سليمان القانوني:

وهو منبر أرسله السلطان سليمان خان سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م إلى المسجد الحرام؛ وهو مصنوع من الرخام الناصع البياض، وهو رشيق الصورة، تتجلى فيه روعة الفن ودقة الصنعة وإتقان التركيب بحيث أنه يعد آية من آيات الفنون الجميلة، وأن أكثر ما يلفت نظر المدقق الخبير بالفنون النقوش العجيبة والزخرفة البديعة المحفورة في نفس حجر الرخام، ومكون من: ١٤ درجة ويبلغ طوله أفقياً: ٨٠ ٥م وعرض قاعدته: ٨٨ ١م، أما مقدار ارتفاع المنبر من أرض المطاف إلى هلال قبته فبلغ: ١٢م وبلغت تكاليف صناعته: ٣٠ ألف دينار ذهب، وفي أعلاه أعمدة من المرمر تحمل قبة مستطيلة صنعت من الخشب المتين وصفحت بألواح من الفضة طليت بالذهب وفي أعلى القبة هلال، ووضع أول الأمر قرب المطاف مقابل بداية

(١٢٢) يحيى حمزة كوشك: عناية الدولة بماء زمزم، ص٩٢، الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٣٨؛ خالد العبيد: الحرم المكي الشريف، ص٥٠؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٦٦، وصى الله عباس: المسجد الحرام، ص٤١٦؛ حامد عباس، قصة التوسعة الكبرى، ص١٤١؛ عبدالله الرقيبة: الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص٦٩؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ص٦٦، ٦٧.

(١٢٣) الكردي: التاريخ القويم، ٣/ ص٨٦، يحيى حمزة كوشك: عناية الدولة بماء زمزم، ص٩٢.

(١٢٤) يحيى حمزة كوشك: عناية الدولة بماء زمزم، ندوة عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بالحج والحرمين الشريفين، ص٩٢، فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٧،

جدار حجر إسماعيل من جهة الشرق للمسجد الحرام، وعلى بعد ٩٠-١٣م منه، وبجوار مقصورة مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بينه وبينها ٤م من جهته الشمالية وعلى يمين باب بني شيبة، وكان الاختيار لهذا الموقع في صحن المطاف لميزة خاصة انفرد بها هذا المنبر وهي أن الشمس لا تصل إلى موضع الخطيب صيفاً ولا شتاءً[١٢٥].

ولرغبة الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – (١٩٦٤م – ١٩٧٥م) في توسعة أرضيات المطاف بأكبر مساحة ممكنة مع تبليطها بالرخام الكرار سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أمر بإرجاع ذلك المنبر والذي ظل مدة ٤١٧ سنة في مكانه الأصلي إلى الخلف قليلاً لمسافة ٧م تقريباً، ليكون خارج مدار أرضيات الطواف[١٢٦]، فتتم بذلك ما رغبه من توسعة صحن المطاف؛ لإتاحة أكبر مساحة للطائفين مع تبليط كل تلك التوسعات بالرخام المرمر.

أرضيات المسجد الحرام في عهد عهد الملك فيصل – رحمه الله –

من أهم أعمال الملك فيصل – يرحمه الله – في ساحة أرضيات المسجد الحرام قيامه بتوسعة دائرة المطاف، بإزالة زوائد مقام إبراهيم – عليه السلام – ووضع صندوق بلوري عليه بدلاً من المقصورة والتي كانت تأخذ مساحة ٢٨م٢ وهدم باب بني شيبة وتبليط مكانها بالرخام الكرارا الإيطالي[١٢٧].

كان الازدياد الكبير لأعداد الحجاج في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز – يرحمه الله – أثره الواضح على مقدرة مدار المطاف الدائر حول الكعبة على استيعابهم حيث ضاق عليهم وأرض المطاف ضاقت ضيقاً شديداً خاصةً عند قبة مقام إبراهيم – عليه السلام – حيث كانت تتكون من: مقصورة نحاسية مربعة الشكل وعليها قبة قائمة على أربعة تنتهي مؤخرتها بمظلة متصلة بالمقصورة؛ ليصلي الناس تحتها والطواف وعليها أعمدة تحتل

(١٢٥) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ص ١٧٨، ١٧٩؛ حامد عباس، قصة التوسعة، ص١٩٧، فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ص ٤٢، ٤٣.

(١٢٦) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص١٧٩؛ الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٣٧.

(١٢٧) حامد عباس: قصة التوسعة، ص١٩٨.

مساحة قدرها: ٣ × ٦ أمتار– أي: ١٨م٢ –والمقام موجود في داخل تابوت خشبي عليه ستارة من الحرير مكتوب فيها آيات قرآنية وبذلك أصبحت قبة المقام واحدة من عوامل إعاقة الحركة حول بيت الله الحرام(١٢٨).

حيث أصبح يعترض أي توسعة للمطاف، وأصبح المكان من الكعبة ومقام إبراهيم – عليه السلام – بمثل عنق الزجاجة في موسم الحج حيث تنحصر الجموع الحاشدة من الطائفين الذين يسيرون في متسع عرضه ٢٤م إلى مكان عرضه ١٢م عند المقام مما يترتب عليه ازدحام خانق خلال ساعات الذروة ويزداد الموقف خطورة عندما يشغل بعض الحجاج أماكن خلف مقام إبراهيم – عليه السلام – لتأدية صلاة ركعتي الطواف(١٢٩).

ثم إن بعض العلماء في المملكة العربية السعودية رؤوا أنه لا بأس بنقل مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – من محله الأصلي وتأخيره إلى محل آخر توسعة للناس في حال الطواف، ورأى بعضهم عدم جواز نقله من محله الأصلي مطلقاً(١٣٠).

وعندما لم تتفق آراء العلماء في جواز تنحيته طرحت تلك المسألة على علماء رابطة العالم الإسلامي المنعقد في موسم حج سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م فقررت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن المجلس التأسيسي قد اتخذ في جلسته الحادية عشرة المنعقدة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٨٤هـ/ ٢٦ أبريل ١٩٦٤م قراراً برفع المقصورة الحديدية التي كانت موضوعة فوق مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – منذ مئات السنين ويوضع بدلاً عنها زجاج قوي جميل على نفس المقام الكريم مع بقائه في محله الأصلي من غير تحريكه ولا زحزحته عن موضعه، لما فيه من راحة المسلمين بتوسعة أرضيات المطاف الشريف مع بقاء المقام الكريم في محله الأصلي القديم(١٣١).

---

(١٢٨) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص١٥١، عبيد الله الكردي: الكعبة المعظمة، ص١٨٣.
(١٢٩) وزارة المالية والاقتصاد الوطني المسجد الحرام، ص ص ٨٣، ١٦٥.
(١٣٠) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ٥٢.
(١٣١) الكردي، المرجع السابق، ٥/ ص ٥٣.

فامتثلت حكومة الملك فيصل – يرحمه الله – بما تقرر من رابطة العالم الإسلامي من: أولاً – هدم الزوائد الخارجة عن مقام إبراهيم – عليه السلام – ووضع بدلاً منه غطاء زجاجي، مع المحافظة على محله الأصلي وعدم زحزحته عنه وثانياً – هدم باب بني شيبة (باب السلام)، ويمكن شرح ذلك فيما يلي:

أولاً: إبقاء المقام في مكانه وإزالة جميع الزوائد الموجودة حوله ووضعه داخل صندوق من البللوري السميك القوي على قدر الحاجة.

بدؤوا في العمل سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م فأحاطوا مقصورة المقام الكريم بالأخشاب من جميع الجهات وجعلوا فيها باباً للدخول والخروج وهذه الإحاطة بالأخشاب تمكن العمال من الاشتغال في المقام بدون تشويش على الناس الذي يجتمعون عنده، وبعد ذلك قاموا بإزالة المقصورة الجديدة المحاطة بالمقام الكريم على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وهذه المقصورة القديمة –أي: نفس الشباك الحديدي –طولها ٣م × ٣م وارتفاعها مثل ذلك، ومساحة المصلى الذي يلي المقصورة مثل ذلك أيضاً – أي: ٣م –ثم قاموا برفع ما بقي من الأنقاض والأحجار والأتربة حتى بلغوا الأساس القديم، ولقد وجدوا أن المقام الشريف مركب على قاعدة من الحجر المربع طوله ٥٠سم وعرضه ٥٠سم، وقد حبس هذا الحجر بأربعة أسافين من الحجارة الضخمة؛ تثبيتاً له حتى لا يتزحزح عن مكانه فلم يمس العمال هذا الحجر بسوء بل لم يزل في مكانه، وهذا الحجر ينزل عن سطح أرض المطاف بنصف متر، ويظن الذي رأى هذا الحجر أنه من وضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه –والله تعالى أعلم، فقولنا: "حتى بلغوا الأساس القديم" –أي: بلغوا جوانب الأساس من غير أن يمسوا نفس الأساس، ومن غير أن يحركوا نفس حجر المقام الكريم، فكل شيء قديم بقي على ماهو عليه(١٣٢).

ثم رفعوا الغطاء الداخلي الذي كان موضوعاً فوق المقام الشريف وهو صندوق خشبي عليه ستارة من الحرير المكتوب، ثم عملوا حول المقام الكريم من الأرض إلى أعلاه قاعدة من الرخام يحيط به وهو على شكل سداسي طوله ١٦٠سم، وعرضه ١١٠سم وارتفاعه

(١٣٢) الكردي: التاريخ القويم، ٥/٥٧، ٥٨، ٥٩؛ الشريف محمد مساعد الحسي: دور الجامع الثمين، ص٤٧؛ خالد العبيد، الحرم المكي الشريف، ص٥٠.

٧٥سم، ثم في يوم الأربعاء ١٥ رجب ١٣٨٧هـ اشتغل العمال بتكميل تركيب القاعدة الرخامية الجديدة (والرخام لونه أسود مأخوذ من جبال تبعد عن مكة المشرفة بنحو ١٠٠كم)، وفي يوم الخميس ١٦ رجب ١٣٨٧هـ وضعوا قاعدة نحاسية مدورة مثقوبة من وسطها، زنتها ٦٠٠ كجم والثقب على قدر ما يظهر المقام الكريم، وفوق القاعدة النحاسية وضعوا الغطاء الزجاجي على نفس المقام الكريم، ثم ركبوا عليه المقصورة الحديدية الجديدة (وهي الشبابيك) وهي أصغر حجماً من المقصورة القديمة، فطولها ١٦٠سم وعرضها ١١٠سم وارتفاعها إلى هلالها ٣م، أي أن حجم المقصورة الجديدة أصغر من المقصورة القديمة؛ لتوسعة المطاف، مما أدى إلى توفير نحو ٥م في عرض أرضيات المطاف[١٣٣] – أي: مساحة قدرها ٢٥م٢ – وفي يوم السبت ١٨ رجب ١٣٨٧هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٦٧م جرى رفع الستار عن الغطاء البللوري في حفل جليل بيد الملك فيصل بن عبدالعزيز – يرحمه الله –[١٣٤].

(١٣٣) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ص ٦٠، ٦١؛ وصى الله بن محمد عباس: المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٠١؛ حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، حدة، مجموعة بن لادن السعودية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٥١؛ محمد بن عبدالله بن صالح، الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما وتأثيرهما على المحيط العمراني على مر العصور متوجه بجهود خادم الحرمين الشريفين، الرياض، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٠، ٢١، أحمد حسين العقبي، عمارة المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين مستلة من ندوة "عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بالحج والحرمين الشريفين ٢٥ – ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

(١٣٤) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ص ٦٠، ٦١؛ وصى الله بن محمد عباس: المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٠١؛ حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، حدة، مجموعة بن لادن السعودية، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ص١٥١؛ محمد بن عبدالله بن صالح، الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما وتأثيرهما على المحيط العمراني على مر العصور متوجه بجهود خادم الحرمين الشريفين، الرياض، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٠، ٢١، أحمد حسين العقبي، عمارة المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين مستلة من ندوة "عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بالحج والحرمين الشريفين ٢٥ – ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

ثانياً: إزالة باب بني شيبة (باب السلام) [١٣٥]:

في يوم السبت ١١ رجب سنة ١٣٨٧هـ/ ١٤ أكتوبر ١٩٦٧م أزالوا باب بني شيبة؛ وهو العقد القائم خلف مقام إبراهيم – عليه السلام – وبجوار بئر زمزم والمنبر وهو الذي كان يسمى قديماً منذ صدر الإسلام (باب السلام)، والذي يُسنّ الدخول منه إلى المسجد الحرام، وهو عُقْد على شكل نصف دائرة، مبني على عمود من حجر الرخام المتين مزين بنقوش بديعة، وهذا العقد هو محل السكة الضيقة النافذة من بين بيوت قريش إلى المسجد الحرام، فإن قريشاً لما بنت بيوتها حول الكعبة على قدر حاشية المطاف جعلوا بين كل

(١٣٥) التبس الأمر على كثير من الباحثين في أي عهد أو عصر تم إزالة باب بني شيبة فذكر الدكتور فوزي الساعاتي أنه حدث في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز إلا أنه قد جانبه الصواب برغم أنه ذكر تاريخ الإزالة صحيحاً في ١١ رجب سنة ١٣٨٧هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٦٧م نقلاً عن الكردي في التاريخ القويم وكذلك كتاب المسجد الحرام الصادر عن وزارة المالية وهذا يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنه في فترة وعهد الملك فيصل بن عبدالعزيز الذي تولى الحكم في سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، فضلاً عن أن الداعي لإزالته هو ما قررته رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م في التوجيه بإزالته من صحن المطاف لتوسعة محل المطاف لاستيعاد أكبر قدر من الحجاج دون التصديق عليهم سواء من قبل باب بني شيبة أو المقصورة الخشبية المقامة على مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، كذلك ذكر كلاً من الباحث عبدالفتاح راوه والشريف محمد بن مساعد الحسيني والرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أن الإزالة حدثت في سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز إلا أنهم قد جانبهم الصواب أيضاً لذكر مؤرخ الحرم المكي آنذاك محمد طاهر الكردي في كتابه التاريخ القويم أن الإزالة تمت في ١١ رجب سنة ١٣٨٧هـ أثناء إزالة الزوائد الخارجة من مقصورة المقام ووضع بدلاً منها غطاء بللوري، أما التاريخ المذكور سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م هو تاريخ تبليط أرض المطاف بالرخام البارد المقاوم للحرارة وليست الإزالة.
يراجع: وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٦٨؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة وما استحدث في ساحة الحرم من مباني على اختلاف وظائفها ومن المدرسين والوعاظ في حصوات المسجد الحرام، (ب–د) ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م، ص٤٥؛ عبدالفتاح راوه: أمراء البلد الحرام، ص٦٣؛ الشريف محمد بن مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين في مسجد البلد الأمين، جدة، مطبعة النهضة الحديثة،، جـ١، ١٣٤٣هـ، ١٤١٨م، ص٦٣، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٤٧.

دارين من دورهم مسلكاً ينفذ منه إلى بيت الله الحرام، فكان هذا العقد هو محل السكة النافذة، وبجواره كانت دار شيبة بن عثمان الحجبي سادن الكعبة المعظمة التي دخلت في توسعة الخليفة العباسي المهدي للمسجد؛ لذلك نسب البيان إليه فقيل: "باب بني شيبة"، وكان "باب بني شيبة" حد المسجد الحرام من الجهات الثلاثة في زمن رسول الله – صل الله عليه وسلم – وزمن أبي بكر – رضي الله عنه –، وما وراء ذلك من زيادات الخلفاء (أمراء المؤمنين – رضي الله تعالى عنهم –)[١٣٦][١٣٧].

فمحل "باب بني شيبة" الذي أزيل حد المسجد الحرام وحد المطاف القديم أيضاً، ومرادنا بالقديم زيادة الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله –؛ لأن المسجد الحرام كان هو المطاف القديم سواء بسواء، فلما زاد الخلفاء في المسجد الحرام عملوا حد للمطاف القديم، وفي عهد الملك سعود– يرحمه الله– زاد في أرضيات المطاف القديم ووسعوه لكثرة الناس، وبعد إزالة باب بني شيبة وضع مكانه رخام أسود إشارة إلى محله[١٣٨].

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز– يرحمه الله–:

بعد تلك التوسعات التي قام بها الملك سعود والملك فيصل – يرحمهما الله – استمر الملك خالد – يرحمه الله – (١٩٧٥م – ١٩٨٢م) على نهج أخوية في توسعة أرضيات المطاف، بضم جميع مساحات الصحن المكشوف بداخل دائرة المطاف؛ ليصبح الصحن كله مدار للطواف وتم تبليطه بالرخام الأبيض ليصبح حدود المطاف هي حدود جدران

(١٣٦) الكردي: التاريخ القويم، ٤/ ص٥٨، ٥/ ص ص١٦٨، ١٦٩.

(١٣٧) ورد في كتب الحديث والتاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل المسجد الحرام من هذا الباب ويخرج منه وسبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت إقامته بمكة، إما بدار خديجة، رضي الله عنها بزقاق الحجر أو بدار عقيل بسوق الليل، أو كان ينزل بالأبطح جهة المعلا، فالآي من هذه الأماكن لابد وأن تكون وجهته قبل باب الكعبة، فيدخل المسجد من باب بني شيبة بطبيعة الحال، وأيضاً فإن هذا الباب مقابل لباب بيت الله الحرام.
الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص ص١٦٨، ١٦٩.

(١٣٨) الكردي: المرجع السابق، ٤/ ص ٥٨، وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٦٨.

المسجد من الداخل، ومجموع مساحة المنطقة المكشوفة داخل الحرم الشريف تبلغ ٢٥٠٬١٦م٢ والذي يشمل أرضيات المطاف بعد توسعته من قبل الملك سعود – رحمه الله – والتي تبلغ مساحته: ١٥٠٬٤م٢، وبذلك تشمل الأجزاء الباقية وقدرها: ١٠٠٬١٢م٢ الحصاوي والممرات المبلطة وأرضيات المطاف والممرات المؤدية إلى المطاف وحدود هذه الممرات لم تتغير قروناً عديدة وكلها مكسوّة بالرخام، والمنطقة المتبقية المكشوفة "الصحن" خارج المطاف تتكون من: الممرات وأقسام يغطيها الحصى؛ وهي على مساحات مختلفة وتسمى (الحصاوي) وتستعمل أيضاً للصلاة عندما يزيد عدد المصلين وتفرش بالبسط فوق الحصى في أوقات الصلاة، وجزء من هذه (الحصاوي) ملاصق للمسجد المسقوف وكان له مظلات مؤقتة من القماش تنشر خلال صلاتي الظهر والعصر[١٣٩].

وفي سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م قررت وزارة المالية والاقتصاد الوطني أن تبدأ دراسة تفصيلية في هذا الصدد؛ لتوسعة أرضيات المسجد الحرام ومنطقة زمزم[١٤٠]، وتم تقسيم العمل على النحو التالي:

أولاً – توسعة منطقة المطاف وتبليط الحصاوي:

كانت حدود الأبعاد لأقصى توسعة يمكن إدخالها على دائرة المطاف تتحكم فيها الناحيتان (الشمالية والجنوبية الشرقية للمبنى القديم للحرم الشريف)؛ فتم تبليط أرض المطاف بالرخام الأبيض بانحدار قدره: ١: ١٥٠ باتجاه محوري بعيداً عن الكعبة، والرخام الأبيض إذا ما قورن بمواد التبليط الأخرى الطبيعية تجده الأنسب لأن به صفات مثل: المتانة والراحة والمنظر المريح الملائم لمبنى الحرم، وتم تغطية جميع مناطق الحصاوي بالرخام الأبيض بانحدار ١: ١٠٠؛ لتصريف المياه باتجاه محوري إلى قناة التصريف الدائرية على المحيط الخارجي للمطاف على أن تحتفظ بمنسوبها ١٥سم بحيث تكون منخفضة عن الممرات[١٤١].

---

(١٣٩) وزارة المالية: المرجع السابق، ص ص ١٦٥، ١٨٣.
(١٤٠) وزارة المالية، المرجع السابق، ص١٩٩.
(١٤١) وزارة المالية، المرجع السابق، ص ص١٩٩، ٢٠٠.

وبذلك أصبح قطر دائرة المطاف ٢٥٫٩٥م مقابل القطر السابق ٨٫٦٤م وازدادت مساحة المطاف من ٣٢٩٨م٢ إلى ٧١١٩م٢ – أي: زيادة قدرها: ١١٥٫٨% فأصبح لأول مرة في التاريخ مساحة المسجد الحرام القديم كله مطافاً، وزاد استيعابها الضعف من ١٤٠٠٠ شخص إلى ٢٨٠٠٠ شخصاً دفعة واحدة(١٤٢).

وقد كان الرخام المرمر الكرارا الإيطالي المفروش في أرضيات المطاف يتأثر بالشمس فكان يؤذي الطائفين والمصلين، فجلب الملك خالد – يرحمه الله – رخام أبيض ناصع ضد الحرارة من اليونان بتكاليف باهظة وفرش في جميع أرض المطاف والحجر ولا يتأثر من حرارة الشمس القوية، وبإمكان الطائف والمصلى أن يطوف ويصلي في وهج الشمس وشدة الحرارة، ولا يؤثر على الأقدام بالحرارة مطلقاً(١٤٣).

وقد كان هذا الرخام هو رخام "تاسوس"(١٤٤) الذي يحتل النسبة الأكبر للرخام المستخدم في أرضيات المباني الفاخرة، إذ يستورد من اليونان بكميات حجرية كبيرة، قبل أن تتم معالجته وقصه إلى قطع رخامية بمقاسات محددة للاستفادة منه في أرضية الحرم المكي الشريف(١٤٥).

وهذا الرخام المستخدم في الحرم المكي الشريف يجلب من جزيرة تدعى "تاسوس" في اليونان، شمال بحر ايجه تبعد عن الساحل الأوروبي سبعة كيلومترات، وهذا يدل على أن حكومة المملكة العربية السعودية تحرص بشدة على ما يوفر الراحة والخدمة للطائفين والقائمين في المسجد الحرام، هذا النوع من الرخام الذي من شأنه إراحة المصلين الجالسين

(١٤٢) وزارة المالية، المرجع السابق، ص١٩٩، حامد عباس: المرجع السابق، ص١٥٩.

(١٤٣) وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٤٦.

(١٤٤) هو رخام أبيض يستخرج من اليونان، لونه أبيض ناصع جميل، وقد تم استخدامه في الحرم المكي لما له من خصائص في حفظ درجة الحرارة، نقلاً عن القسم الهندسي بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. وتاسوس نسبة إلى جزيرة تاتوس والتي كان يطلق عليها اسم "طاشور"، لمزيد من التفاصيل انظر: د. أشرف مؤنس: الحكم المصري في جزيرة طاشورة، مكتبة الأدب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ص٧–٩.

(١٤٥) صحيفة مكة المكرمة، الثلاثاء ١٦ صفر ١٤٣٦، ٩ ديسمبر ٢٠١٤.

في صحن المطاف والساحات الخارجية – لا سيما في وقت الظهيرة – ينعم الجالسون في ساحات الحرم ببرودة أرضيته وتقيهم حرارة الصيف.

وهذه حقيقة أفصح عنها المهندس محمد كمال إسماعيل(١٤٦)، الذي كان له الشرف في وضع تصاميم توسعة أرضيات المسجد الحرام، فيذكر أن السر في برودة الرخام هو أن هذا النوع من الرخام الذي يدعى "تاسوس" من خواصه أنه في الليل يمتص الرطوبة عبر مسام دقيقة وفي النهار يقوم بإخراج ما امتصه في الليل مما يجعله دائم البرودة أثناء ارتفاع الحرارة وقد تم وضع قطع سمك ٥سم لزيادة امتصاص الرطوبة وجعله أكثر برودة في لهيب الحر(١٤٧).

ويتم استيراد مادة الرخام تلك من اليونان إلى مصانع سعودية خاصة تقوم بمعالجتها وصناعة البلاط منها، إضافة إلى قصها إلى بلاطات بمقاسات معينة حسب ما تقتضيه المعايير الهندسية في الحرم المكي، كما أن هناك كميات جاهزة لوضعها في مكان القطع التي لم تعد صالحة للاستخدام، مؤكداً أن هذه النوعية من الرخام طبيعية بالكامل ولا تخضع لأي تقنيات أو إضافات سواء في اليونان أو داخل المملكة العربية السعودية(١٤٨).

ثانياً – نقل مدخل بئر زمزم:

كان لرغبة الملك خالد – يرحمه الله – في توسيع محل أرضيات المطاف للحاجة؛ لتوفير مزيد من المساحات للطائف، ليشمل جميع الصحن المكشوف من المسجد الحرام أثره في إصدار أوامره بنقل مدخل بئر زمزم القابع في قبو أسفل أرضيات المسجد الحرام إلى الرواق الشرقي مع تطوير قبو البئر لزيادة استيعابية، ففي سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م أصدر

---

(١٤٦) هو مهندس معماري مصري، من أبرز أعماله توسيع للمسجد الحرام والمسجد النبوي، اختاره اللك فهد بن عبدالعزيز، لتصميم هذا العمل الكبير، بعد أن اطلع على مؤلفه الذي يحمل عنوان "مساجد مصر" صحيفة الأهرام: العدد ٢٣٤٩ الصادر بتاريخ ١٤٣٦/٧/٣٠هـ، الموافق ٢٠١٥/٥/١٨م، ص٢.

(١٤٧) Muhammed Kamal Ismail, The Architecture of the Holy Mosque Makkah. London 1998. pp.174.

(١٤٨) صحيفة مكة المكرمة، الثلاثاء ١٦ صفر ١٤٣٦، ٩ ديسمبر ٢٠١٤.

الملك خالد – يرحمه الله – أوامره بإرجاع مدخل قبو (بدروم) بئر زمزم إلى الخلف ناحية الرواق الشرقي وذلك لزيادة مساحة النفق مع تغطية المدخل القديم الموجود بصحن المطاف بسقف يتساوى مع سطح المطاف وحددت فوهة بئر زمزم التي تقع أسفل منطقة الطواف بدائرة من الرخام الأبيض المحاط بإطار من الرخام الأسود كتب عليها "بئر زمزم" ووضعت هذه العلامة كدلالة على مكانها التاريخي، وتبعد (فم البئر) عن سطح صحن الطواف بـ ١٫٥٦م، ويبعد مركز فتحة البئر عن الحجر الأسود بـ ٢٠٫٦٠م، كما يبعد منتصف الحجر الأسود حتى سطح صحن الطواف ١.٢٥م، كما يبعد عن مقام إبراهيم – عليه السلام – بمقدار: ١٢٫٤٥م، كذلك قام الملك خالد – رحمه الله – بتوسيع (قبو البئر) من مساحة ١٣٥م٢ إلى ١٤٥٠م٢، كما قام بتحسين ترتيبات نافورات الشرب من ناحية العدد حيث بلغت: ٣٥٠ صنبوراً بعد أن كانت ٣٩ صنبوراً كذلك حسنها من ناحية التخطيط بحيث تؤدي خدمات ملائمة لشرب الماء وتأمين نظام يسهل حركة الدخول والخروج(١٤٩).

ثالثاً – نقل منبر السلطان سليمان القانوني:

فبعد أن أرجعه الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م إلى خارج صحن المطاف بمقدار: ٧م أمر الملك خالد بن عبدالعزيز – يرحمه الله – في سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م – عند توسعة صحن المطاف – بنقله إلى خارج المحيط الخارجي لصحن المطاف بجوار المظلة، وظل هذا المنبر الرخامي العثماني في المسجد الحرام لغرة المحرم سنة ١٤٠٠هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م، حيث تعرضت بعض أجزائه للكسر من جراء

(١٤٩) وزارة المالية: المسجد الحرام، ص٢٠١؛ وصى الله عباس: المسجد الحرام، ص٤١؛ حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص١٤١؛ عبدالله الرقيبة: الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص٦٩، فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٧؛ محمد بن عبدالله صالح: الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما، ص٢١؛ الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز، ص٤٨؛ يحيى حمزة كوشك: عناي الدولة بماء زمزم، ص٩٢، الشريف محمد مساعد الحسيني: الدرر الجامع الثمين، ص٦٣، خالد العبيد : الحرم المكي الشريف، ص٥٠.

سيطرة الفئة الضالة على المسجد الحرام، وتم بحمد الله دحرها، ثم جرى تفكيك ما بقي من المنبر الرخامي العثماني وحفظ هذه الأجزاء بمستودعات المسجد الحرام إلى أن استقر وضعها الآن بمتحف الحرم المكي(١٥٠).

رابعاً – نقل المكبرية من صحن المسجد الحرام:

وهي السقيفة التي استحدثت في عصر الملك فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م في المسجد الحرام في حصوة باب الصفا من الجهة الجنوبية لساحة صحن المطاف(١٥١)، وتشغل مساحة ٥٠م٢ من مبنى الحرم القديم و١١٠م٢ من المبنى البارز(١٥٢)؛ لتمكين المؤذن من رفع الأذان وإقامة الصلاة، حيث كان التبليغ من المقام الحنفي ثم في المقام الشافعي فوق زمزم وفي مقابل المزولة وذلك قبل هدمها أثناء التوسعة السعودية الأولى، وقد استمرت في أداء عملها وأضيف إليها النقل الحي على الهواء مباشرة لنقل الصلوات من خلال البث التلفزيوني من خلال الدائرة التليفزيونية الموجودة داخل المكبرية وذلك حتى عام ١٣٩٨هـ – ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧ – ١٩٧٨م عندما أراد الملك خالد – رحمه الله – من تبليط أرضيات جميع الصحن المكشوف للمسجد الحرام بالرخام التاسوس المقاوم لامتصاص الحرارة، فهدمت لغرض إيجاد أكبر مساحة للطائفين حول البيت الحرام، وقد تم ما بها من معدات البث الإذاعي والتليفزيوني إلى مكبرية أخرى بُنيت داخل الرواق العثماني جهة الجنوب للكعبة، جهة باب الصفا، وبناء مكبرية ثانية في

(١٥٠) وزارة المالية: المرجع السابق، ص ص١٦٨، ٢٠١؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٤٣.

(١٥١) وزارة المالية: المرجع السابق، ص ص١٦٧، ٢٠٠؛ فوزي الساعاتي: المرجع السابق، ص٤٨، وقد ذكر رئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أنها استحدثت سنة ١٣٩٠هـ، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد، ص٤٦؛ الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٤٨.

(١٥٢) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام (ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص٦١.

شمال الكعبة جهة باب الزيادة (المكبرية القديمة) وتتميز بصغر مساحتها وبقلة عدد الأعمدة الحاملة لسقفها حيث تبلغ: ١٢ عموداً منها: ٦ كانت ضمن الرواق العثماني و٦ أعمدة تم إحداثها عند البناء(١٥٣).

وبذلك تم توسعة المطاف وتوسعة أرضيات المسجد الحرام توسعة كبيرة جداً شملت: إلغاء جميع الحصاوي والمشايات التي كانت في الحرم المكي، ونقل المنبر والمكبرية ومدخل بئر زمزم؛ لتصبح سعة المطاف إلى حدود الحرم القديم وتصبح –لأول مرة في التاريخ – مساحة المسجد الحرام القديم كله مطافاً.

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك فهد– يرحمه الله–:

تمثلت أعمال الملك فهد– يرحمه الله – (١٤٠٢–١٤٢٦هـ/١٩٨٢–٢٠٠٥م) الخاصة بأرضيات المسجد الحرام بأنه أول من قام بتبليط سطح التوسعة السعودية الأولى بالرخام المقاوم للحرارة ومنه زادت مساحة المسجد الحرام بمقدار: ٦١ ألف متر مربع(١٥٤).

تقدم ذكر جهود الملك عبدالعزيز –يرحمه الله –وأعماله الجليلة في خدمة المسجد الحرام والتي نالت فيه أرضياته بنوعيها: الحجرية والمحصبة النصيب الأوفر من الاهتمام سواء المفروشة في محل الطواف أو الحصباء المفروش بها حصاوي المسجد، كذلك الأرضيات الحجرية المفروشة في الأروقة الجانبية للمسجد الحرام، ثم جهود أبنائه البررة وخلفائه الصالحين سعود وفيصل وخالد –يرحمهم الله –وكلهم ساروا على خطى والدهم المؤسس– يرحمه الله –في أداء الأمانة والاهتمام بأمر المسلمين وولاية أمر الحرمين الشريفين والعناية بهما.

ولما تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز –يرحمه الله – في سنة

---

(١٥٣) حامد عباس: المسجد الحرام، ص١٤٦؛ الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز، ص٤٦؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ص ٤٨، ٤٩؛ عبدالله بن صالح الرقيبة، الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص٧٠.

(١٥٤) وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٤٦.

١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، جعل همه الأول خدمة الحرمين الشريفين والنظر في شؤونهما وإعطاء الأولوية لمشاريعهما خدمة للإسلام والمسلمين وتقرباً إلى الله تعالى بعمارتهما، فلما رأى ضيق المسجدين على الحجاج وتزايد أعدادهم عاماً بعد عام أمر بتوسعتهما توسعة مناسبة لأعدادهم فقرر توسعة المسجد الحرام من جهة السوق الصغير وإحداث ساحات جديدة فأمر بوضع الدراسات اللازمة ولما وضعت التصاميم والدراسات وعرضت عليه عدة مرات أبدى فيها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد – يرحمه الله – ملاحظاته وتوجيهاته مما تطلب تعديلها وفق ملاحظاته، وعندما اكتملت وضع الملك فهد – رحمه الله – حجر الأساس للتوسعة السعودية الثانية للمسجد الحرام في ٢ صفر سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م(١٥٥).

وتعرف توسعة الملك فهد بن عبدالعزيز – يرحمه الله – بالتوسعة السعودية الثالثة وأما ما يخص بحثنا فيمكن طرحه من خلال أربعة أمور:

الأمر الأول: أنه في عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م أمر الملك فهد – يرحمه الله – بتنفيذ مشروع؛ لتحسين سطح التوسعة الأولى بالمسجد الحرام؛ ليستوعب أعداداً كبيرة من الحجاج والمعتمرين في مواسم الحج وشهر رمضان ولم يكن يستفاد من السطح إلا لأعمال الكهرباء، وكانت شبكات الكهرباء المنتشرة في مواضع متفرقة من السطح تعيق المصلين، فأمر خادم الحرمين الشريفين أن تجمع جميع شبكات الكهرباء في قباب جميلة، وأن يبلط أرضيات السطح بالرخام البارد من النوع الذي بلطت أرضية المطاف به، وقد نفذ المشروع عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م وأضيف بذلك إلى المسجد الحرام مساحة تقدر ٦١.٠٠٠م٢ وتستوعب ١٩٠ ألف مصلى(١٥٦).

الأمر الثاني: أنه في ٢٥ رمضان سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢ فبراير ١٩٩٧م أمر

(١٥٥) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ص٦٢.

(١٥٦) نفسه، ص ص٦٠، ٦١.

الملك فهد – رحمه الله – الشروع في ترميم محل مقام إبراهيم – عليه السلام – والمحل الذي يوجد فيه مقام إبراهيم عبارة عن هيكل معدني ذهبي اللون تعلوه قبة وبداخله قفص من زجاج يغطي الركن وفي هذا الترميم تم استبدال الهيكل المعدني الذي كان مركباً على مقام إبراهيم – عليه السلام – بهيكل آخر جديد مصنوع من نحاس ذي جودة عالية، كما تم تركيب شبك داخلي مطلي بالذهب، ومن الخارج زجاج مقاس ١٠ مليمتر ليعطي رؤية واضح ومن النوع المقاوم للحرارة والكسر، كما تم استبدال كساء القاعدة الخرسانية للمقام التي كانت مصنعة من الجرانيت الأسود ورخام من وادي فاطمة بقاعدة أخرى مصنعة من رخام كرارا الأبيض الصافي والمحلى بالجرانيت الأخضر ليماثل في الشكل حجر إسماعيل – عليه السلام – ومن الخارج زجاج مقاس ١٠ مليمتر ليعطي رؤية واضحة ومن النوع المقاوم للحرارة والكسر (١٥٧).

وقد أصبح محل المقام بعد هذه التحسينات انسيابياً وقبل ذلك كان مضلعاً وشملت التحسينات الهيكل والقبة والهلال، إضافة إلى القاعدة الخرسانية وقد تمت تلك الترميمات مع الحرص الشديد على عدم تحريك المقام من موقعه(١٥٨). وتم الانتهاء من هذا الترميم في مساء الأربعاء ٢١ ،٢١ شوال سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م(١٥٩).

الأمر الثالث: أمر بتغطية مدخلي قبو زمزم بإزالة الدرج والأسوار ومساواته بسطح أرضيات المطاف وترحيل صنابير مياه الشرب إلى داخل الرواق الشرقي للمبنى العثماني وبذلك أضيفت مساحة ٤٠٠م٢ إلى مساحة أرضيات الطواف بعد أن تم تبليطها بالرخام المقاوم للحرارة كباقي أرضيات المسجد الحرام(١٦٠).

---

(١٥٧) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد، ص ص٧٩، ٨٠.

(١٥٨) نفسه، ص ص٧٩ ، ٨٠.

(١٥٩) عبيد الله الكردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، مجموعة بن لادن السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٨٤.

(١٦٠) فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٧.

الأمـر الرابـع: أمـر خـادم الحـرمين الـشريفين الملـك فهـد بـن عبـدالعزيز – يرحمـه الله – بعمل أرضيات الساحات الخارجية، من جهة السوق الصغير، والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلـغ ٨٠٠ ٨٥ م٢ تكفي لاستيعاب ٠٠٠ ١٩٥ مصلٍّ، وبذلك تصبح مساحة أرضيات المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد توسعته والسطح وكامل الساحات حوالي ٠٠٠ ٣٥٦ م٢، تتسع لحوالي ٠٠٠ ٧٧٣ مصلٍّ في الأيام العادية، أما في أوقات الحج ، والعمرة، ورمضان فيزيد استيعاب الحرم ليصل إلى أكثر من مليون مصلٍّ، كما يضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيساً، و١٨ مدخلاً عادياً، بالإضافة إلى مداخل المسجد الحرام، والبالغ عددها ٣ مداخل رئيسة، و٢٧ مدخلاً عادياً، وقد روعي في التصميم إنشاء مدخلين للبدروم، إضافة إلى المداخل الأربعة(١٦١).

(١٦١) مجلة القافلة، العدد العاشر، المجلد السابع والأربعون، شوال ١٤١٩هـ، ص٦١.

الخاتمـــة:

وفي النهاية نلمُّ بأطراف هذا البحث الذي رصد لنا ووثق بمنهج علمي تتبعي للتطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصرين العثماني والسعودي خلال الحقبة الزمنية (٩٢٣ – ١٤٢٦هـ / ١٥١٧ – ٢٠٠٥م) والتي أفرزت لنا نتائج جاءت على النحو الآتي:

أولاً: أثبتت الدراسة أن الحجر والمطاف وساحة المسجد الحرام كانت تراباً ورملاً وأول من حصب أرضيات المطاف بالحصباء أمير المؤمنين الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –.

ثانياً: أكدت الدراسة أن أول من بلط المطاف حول الكعبة المشرفة كان عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما – بباقي حجارة بناء الكعبة المشرفة لنحو عشرة أذرع.

ثالثاً: أوضحت الدراسة أنه حينما كان المسجد الحرام يتعرض في بعض الأوقات للكوارث الطبيعية من أمطار وسيول وغيرها، كان الجميع يتكاتفون في إعادة الأمور إلى نصابها بداية من كبار الحكام إلى جموع المسلمين، في مكة المكرمة حيث يقوم الجميع برفع الماء أو إزالة الأتربة والرمال أو إقامة حواجز السيول وغير ذلك؛ ابتغاءً لوجه الله تعالى.

رابعاً: أوضحت الدراسة أن بعض سيول مكة المكرمة كانت قوية لدرجة أنها تدخل المسجد الحرام من غالب أبوابه أو بعضها حتى تغمره غمراً كاملاً، وذلك بسبب إحاطة الجبال بالمسجد الحرام، وكانت تجلب معها دائماً الأوساخ مما دفع نظار المسجد الحرام إلى تجديد بطحاء المسجد وأروقته بالحصباء النقية حتى يتمكن الناس من أداء شعائرهم الدينية بالمسجد الحرام.

خامساً: أثبتت الدراسة أن أول من فرش حاشية أرضيات المسجد الحرام بالحجارة الجبلية المنحوتة هم سلاطين الدولة العثمانية، وصارت محلاً لطيف دائراً بالمطاف بعد أن كانت مفروشة بالحصباء.

سادساً: أثبتت الدراسة أن أول من فرش جميع المطاف بالرخام المرمر الأبيض الناصع البياض الجميل هو السلطان محمد الثالث سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠٢م.

سابعاً: أثبتت الدراسة أنه في سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م في عهد السلطان مراد الرابع تم فرش أروقة المسجد الحرام كلها بالحجارة المنحوتة وأزيل ما كان فيه من جميع الطبطاب.

ثامناً: أوضحت الدراسة أنه في سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م زاد في حاشية أرضيات المسجد الحرام زيادة قليلة فرشً بالحجر المنحوت.

تاسعاً: كانت من أول اهتمامات الملك عبدالعزيز –رحمه الله – الاهتمام بأرضيات المسجد الحرام، فقد عمد على إصلاح ما يحتاج منها إلى إصلاح، وترخيمها والعناية بها.

عاشراً: أوضحت الدراسة ما قام به الملك سعود – رحمه الله – من أعمال جليلة في أرضيات المسجد الحرام بغرض التوسعة حيث قام بهدم حاشية المطاف والمقامات الأربعة، وإزالة جميع المباني المقامة على بئر زمزم وإنزال فوهة البئر لأسفل المطاف؛ للاستفادة منها في إضافة مساحة صحن المطاف، ثم فرش جميع تلك الأرضيات بالرخام الكرارا الناصح الأبيض المستورد من إيطاليا.

أحد عشر: لم يذكر أحداً من الباحثين أن إزالة بئر زمزم كانت على مرحلتين؛ حتى لا ينقطع شرب مياه زمزم عن المعتمرين أو الحجاج، فكانت المرحلة الأولى سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م وذلك بعمل قبو أسفل بئر زمزم ودرج موصل إليه، أما المرحلة الثانية فكانت سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م والتي تم فيها هدم المباني على بئر زمزم لاستثمار جميع مساحة البئر في توسعة أرضيات المسجد الحرام.

اثنا عشر: أثبتت الدراسة أن أول توسعة أرضيات المسجد الحرام للمطاف في التاريخ السعودي كانت في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

ثلاثة عشر: بينت الدراسة ما قام به الملك فيصل – يرحمه الله – من حل للكثير

من المشاكل التي كانت تواجه الطائفين من المعتمرين والحجاج بقصد توسعة أرضيات المسجد الحرام، فقام بإزالة المقصورة الخشبية المقامة على مقام سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وعمل غطاء بلّوري عليها، فزاد في مساحة المطاف حول الكعبة المشرفة قرابة ٢٥م٢، كذلك أزاح المنبر من حول المطاف للخلف قليلاً قرابة ٧م؛ حتى يتسنى زيادة مساحة المطاف للطائفين.

أربعة عشر: أوضحت الدراسة ما قام به الملك خالد – يرحمه الله – من إزالة جميع المعوقات في صحن المسجد الحرام من: إزالة جميع الحصاوات المفروشة بالمسجد وإزالة المكبرية ونقل منبر السلطان العثماني سليمان خان القانوني وإرجاع فتحة بئر زمزم خارج الصحن تماماً، وجعلها بالرواق الشرقي من المسجد. ثم قام بأكبر عملية تبليط لأرضية المسجد الحرام على مر العصور حيث بلط جميع أرضيات الصحن المكشوف للمسجد الحرام برخام خاص مقاوم للحرارة استورد من اليونان لكي يقي الحاج أو المعتمر من أي حرارة يمتصها الرخام العادي فتتألم قدميه فأصبح لأول مرة في التاريخ مساحة المسجد الحرام القديم كله مطاف.

خمسة عشر: بينت الدراسة ما قام به الملك فهد – يرحمه الله – من استكمال الأعمال التي بدأها إخوانه الملوك من توسعة المسجد الحرام، فقام بتبليط سطح التوسعة السعودية الأولى بنفس البلاط الرخامي المستورد من اليونان المقاوم للحرارة فزاد بذلك مساحة المسجد الحرام قرابة ٦١ ألف م٢.

كل هذه الأحداث التاريخية هي مَا يَسَّر الله – سبحانه وتعالى – لي بجمعها وتحليلها ومعالجتها وطرحها بأسلوب علمي، الهدف من وراءه إبراز التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام.

هذا وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق:

(١)

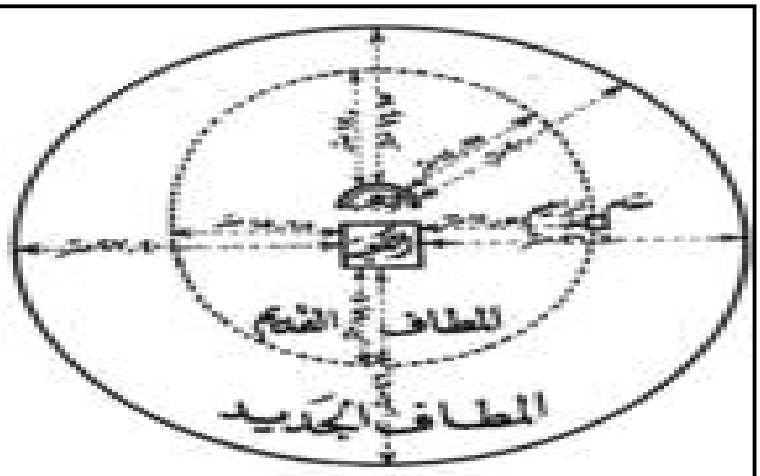

رسم المطافين القديم والجديد عن الكردي:
التاريخ القويم، جـ٥/٩٨٠، شكل رقم ٢٣٢

(٢)

(٣)

رسم ملون للمسجد الحرام في مخطوط نظام علي (دليل مكة والمدينة) والمؤرخ لسنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م بتوسطه رسم للكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلط باللون الأزرق والمحددة بنهاية طرفها بحاشية وزعت عليها الأعمدة النحاسية التي تدور مع دوران صحن الطواف فيما شتها دعوارض علقت عليها القناديل الإضاءة، ويظهر باقي أروقة المسجد الحرام وقد افترش بالحصباء التي توزعت عليها المقامات الأربعة، فمثلاً عن مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وباب بني شيبة والمسعى المقام على زمزم ثم قبة الفراشين وقبة سقاية العباس.

المصدر: معراج مرزا: أطلس خرائط مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

معراج مرزا – عبدالله بن صالح كاويش، عهد من معراج مرزا: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة الرقمي من القرن السادس حتى النصف الأول من القرن الحادي عشر.

المصدر: معرض فنون الإسلام: كنوز من مجموعة ناصر خليلي، أبو ظبي ٢٠٠٨م.

(٤)

رسم ملون للمسجد الحرام من مخطوطة عثمانية من القرن ١٠هـ / ١٦م يظهر في وسطها رسم الكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلطة والمحددة.

المصدر: معرض فنون الإسلام: كنوز من مجموعة ناصر الخليلي، أبو ظبي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

المصدر: ريتشارد برتن وآخرون: الدار المقدسة قبل قرنين.

(٥)

بلاطة من الخزف (القاشاني) مصنوع في إزنيك بتركيا مؤرخة بالقرن ١١هـ/ ١٧م ومحفوظة بمتحف بيراكلي بأثينا، رسم عليها المسجد الحرام ويظهر بوسطه الكعبة المشرفة وقد أحاطت بها دائرة المطاف المبلطة بالرخام الأبيض ويحدث بعضه من الأعمدة تدور مع دوران دائرة المطاف وقد اتصلت فيما بينها بعوارض خشبية علقت عليها قناديل الإنارة، أما في ساحة المسجد الحرام فقد افترشت بالحصباء وقد عبر

Venetia porter: The British Museum Press ..بعنوان:

بلاطة من الخزف (القاشاني) من تركيا عليها رسم للمسجد الحرام تاريخ لمنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م ويبدو في وسطها الكعبة المشرفة وتدور حولها دائرة المطاف، ومحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت، لندن، رسم عليه المسجد الحرام ويظهر بوسطة الكعبة المشرفة ويحيط بها دائرة المطاف المبلطة والذي رسم بالأزرق السماوي، وحوله حوائط وأعمدة المصابيح المعلقة ويظهر باقي أرضية المسجد الحرام والأروقة وقد افترشت بالحصباء وزينت عليها المقصات الأربعة فضلاً عن مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.

المصدر: ديتلف ديكن وآخرون، الدار المقدسة قلب قرابين.

(٦)

رسم منظوري لمكة المكرمة مؤرخ بسنة ١١٩٧هـ/١٧٨٧م رسمه لوي نيكولا دوابيسياس والقماش بيرغاريل بيرثهو ونشره أغناطيوس مرادجي دوسون في كتابه صورة عامة للإمبراطورية العثمانية، ويظهر من خلال تلك اللوحة مشهد بانورامي لمكة المكرمة أثناء موسم الحج وفي وسطه رسم المسجد الحرام وقد استقبل جموع الحجاج وقد رسمت الكعبة المشرفة في وسطه وقد التف حولها الحجاج في ساحة مطافها المبلط بالرخام والتي يتوصل إليها عبر طريق معاشي متصلة بالأروقة الأربعة الجانبية المبلطة بالأحجار المستوية، وقد حصرت تلك المعاشي مساحات واسعة فرشت بالحصباء (الحصوة) وعرفت بالحصاوي.

المصدر: معراج مرزا: أطلس خرائط مكة المكرمة – جامعة أم القرى.

(٧)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام من تصوير السيد عبدالغفار بن عبدالرحمن سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م. وتظهر بواسطتها الكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلطة بالرخام (الصحن) والمحددة بصفوف الأعمدة الحاسية التي تدور مع دوران صحن الطواف والمعلق فيما بينها قناديل الإضاءة لإنارة المطاف، ثم حاشيتها الدائرية التي تلتف حول دائرة المطاف وقد فرشت بالأحجار المسنوية والتي تتصل بالأروقة الجانبية المبلطة بالأحجار المسنوية عن طريق ممانعي تحصر فيما بينها ساحات عريضة مفروشة بالحصباء (الحصوة) ويحيط بها أروقة المسجد وقد أقيمت على أعمدة تتبادل مع دعامات يعلوها عقود نصف دائرية تحمل السقوف ذوات القباب الضحلة.

المصدر: Hi CAZI

(٨)

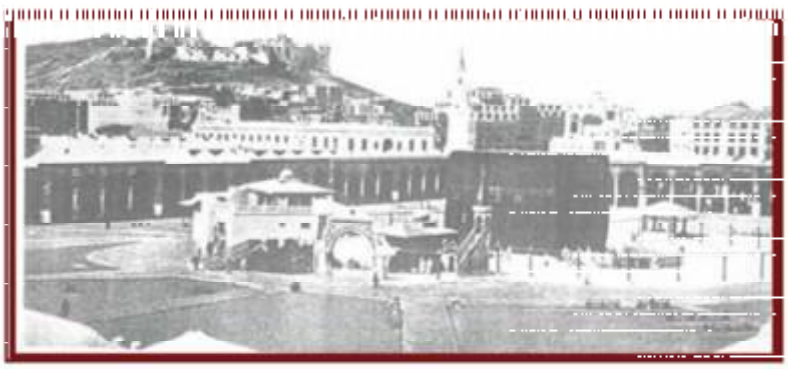

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام من تصوير السيد عبدالغفار بن عبدالرحمن سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م وتظهر بواسطتها الكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلطة بالرخام (الصحن) والمحددة بصفوف الأعمدة الحاسية التي تدور مع دوران صحن الطواف والمعلق فيما بينها قناديل الإضاءة لإنارة المطاف، ثم حاشيتها الدائرية التي تلتف حول دائرة المطاف وقد فرشت بالأحجار المسنوية والتي تتصل بالأروقة الجانبية المبلطة بالأحجار المسنوية عن طريق ممانعي تحصر فيما بينها ساحات عريضة مفروشة بالحصباء (الحصوة) ويحيط بها أروقة المسجد وقد أقيمت على أعمدة تتبادل مع دعامات يعلوها عقود نصف دائرية تحمل السقوف ذوات القباب الضحلة.

المصدر: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

(٩)

صورة فوتوغرافية للساحة المسجد الحرام من تصوير المصور محمد حلمي هـ/ ١٩٤٧م.
وتوضح بشكل جلي أرضية المسجد الحرام، حيث يظهر الأرضية الرخامية التي غطت دائرة المطاف (الصحن) والأعمدة النحاسية التي تدور على حافته والمعلق فيها قناديل الإضاءة، ثم يظهر بطرف الصورة الأرضية الحجرية التي غطت حاشية المطاف التي تدور عليه والتي يخرج منها معاشي أو ممرات تربط بين أروقة المسجد وصحن المطاف وقد غطيت تلك المعاشي والأروقة بنفس أشكال البلاطات الحجارى التي غطيت بها حاشية المطاف.
المصدر: معهد تعاتم العربي ومكتبة الملك عبدالعزيز: صور فوتوغرافية قديمة من مكة المكرمة والمدينة المنورة.
١٨٨٠ – ١٩٤٧م / ١٢٩٧ – ١٣٦٦هـ.

(١٠)

صورة فوتوغرافية لأحد أروقة المسجد الحرام قام بتصويرة محمد حلمي سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
وتظهر الأرضية الحجرية التي افترشت بها أروقة المسجد والتي غطيت بها أيضاً المعاشي أو الممرات التي تصل بين تلك الأروقة وحاشية المطاف ومنها لصحن الطواف حول الكعبة.
المصدر: معهد العالم العربي ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة: صور فوتوغرافية قديمة من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

(١١)

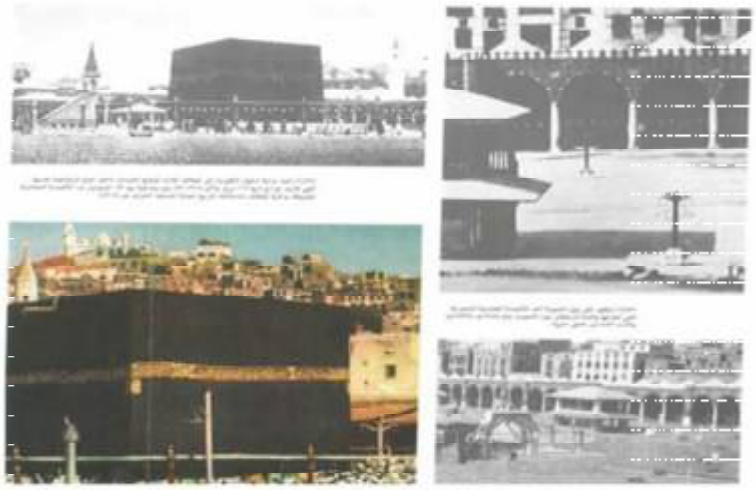

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام توضح الأرضية الحصباء المفروش بها الساحات الواسعة من أرضية المسجد الحرام.

المصدر: معراج مرزا وسعد الله.

الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

(١٢)

صور ثرثوغرافية للمسجد الحرام من أقدم بانوراما صورت سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م ويظهر بوسطها الكعبة المشرفة وحولها دائرة المطاف، ويظهر بوسطها الكعبة المشرفة وحولها دائرة المطاف المبلطة بالرخام والمحددة بنصف من الأعمدة الاحادية الرشيقة والمثبت فيها أوتار علقت عليها القناديل الإضاءة ويدور حولها حائرة تصطف تتمقام عليها المقامات الأربعة.

ومعاذنها التي تربط من الأروقة وضمن المطاف وقد بلط جميعه بالأحجار المنقوشة، ويظهر الساحات الواسعة المحيطة من تلك العشائي وقد فرشت بالحصباء ويحيط بها أروقة المسجد المقامة على أعمدة رخامية ** تتخلل مع دعامات حجرية بعلوها عصور نصف دائرية مسقوفة بقباب ضحلة.

المصدر: Hi CAZ

(١٣)

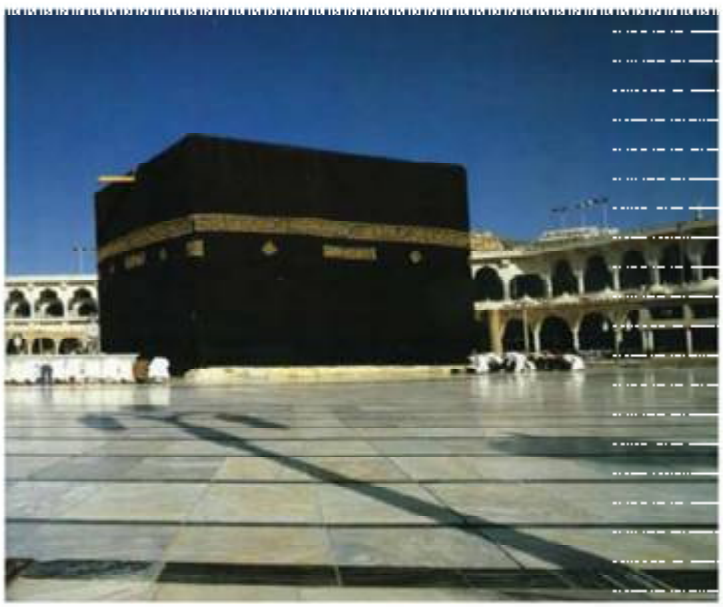

Demand Stewart: Mecca, Newsweek, Newyork 1980.

(١٤)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام منتصف القرن ٢٠، وتظهر الساحات الواسعة من أرضية المسجد الحرام المفروشة بالحصباء (تحصوا) تحصواي.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٥)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام ترجع لمنتصف القرن العشرين ويظهر الحصاوي وقد فرشت بالحصباء.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٦)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام منتصف القرن ٢٠م يظهر فيها الأرضية الرخامية المبلط بها دائرة الطواف حول الكعبة.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٧)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام ترجع لمنتصف القرن العشرين ويظهر الكعبة المشرفة وقد أحيطت بدائرة [illegible] المبلطة بالرخام والمحددة بصف من الأعمدة النحاسية التي تدور مع دورانها وقد اتصلت تلك الأعمدة فيما بينها بحواجز جديدة يتدلى منها قناديل الإنارة ويحف بها حاشية المطاف المبلطة بالأحجار المستوية والتي تتصل بأروقة المسجد عن طريق ممشى حصرت بينها مساحات واسعة فرشت بالحصباء.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٨)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام ترجع لمنتصف القرن العشرين وتظهر الأرضية الرخامية المفروشة بدائرة المطاف.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٩)

بلاط الرخام الأبيض المسمى (تاسومن) والمركب خصيصاً لحرم الشريف

(٢٠)

عملية تحميل بلاط المسجد الحرام من موقعه من اليونان

(٢١)

شحن بلاط المسجد الحرام (تاسومن) من اليونان إلى المملكة العربية السعودية

(٢٢)

عملية قص البلاط (تاسومن) وتجهيزها لتركيبها في المسجد الحرام